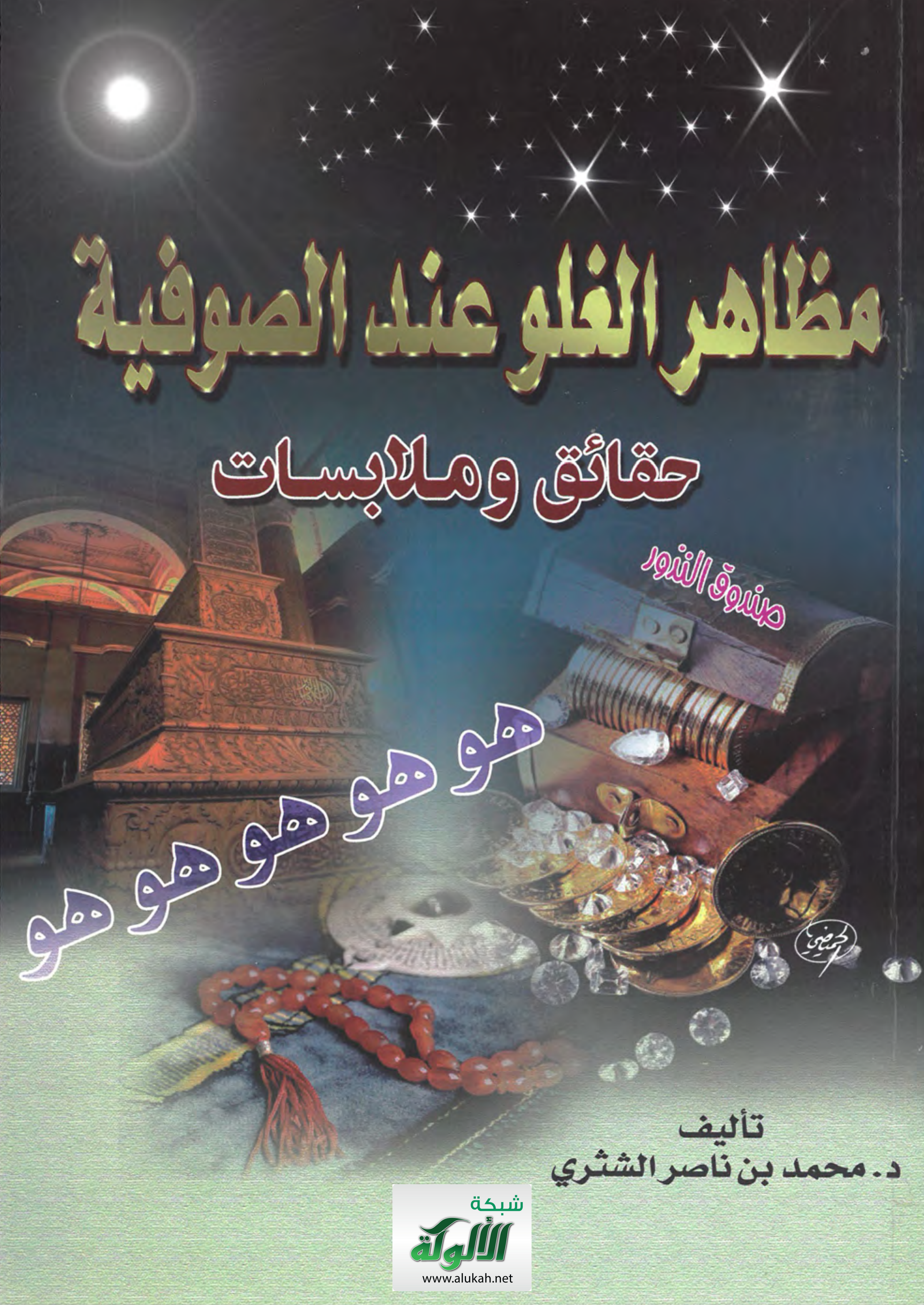

مظاهر الغلو عند الصوفية
حقائق وملابسات
صندوق النذور
هو هو هو هو هو
تأليف
د. محمد بن ناصر الشثري
شبكة الألوكة
www.alukah.net

مظاهر الغلو عند الصوفية

حقائق وملابسات

تأليف

د. محمد بن ناصر الشثري

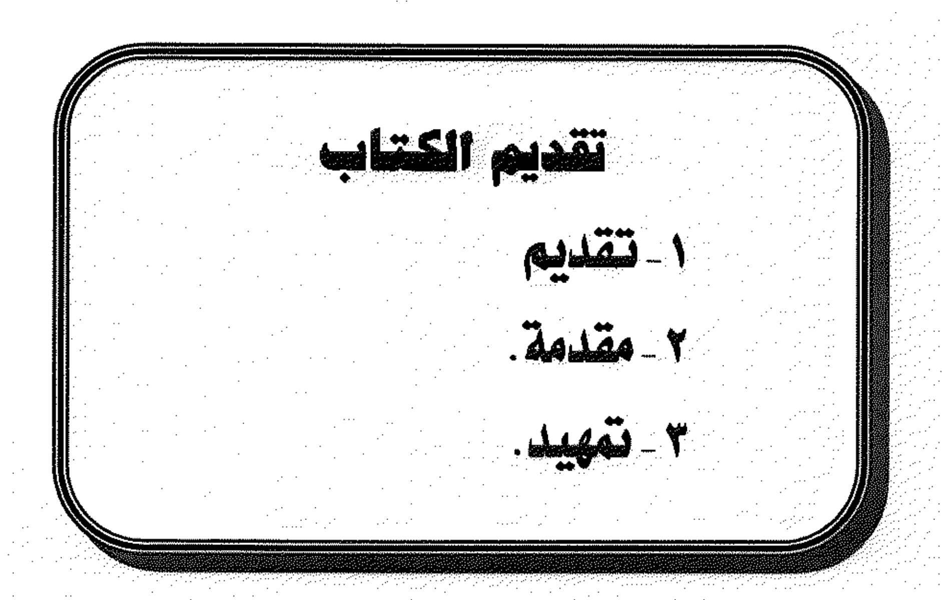


فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشثري، محمد بن ناصر بن عبدالعزيز
مظاهر الغلو عند الصوفية : حقائق وملابسات./ محمد بن ناصر بن عبدالعزيز الشثري .- الرياض، ١٤٢٣هـ
١٢٨ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ٣ - ٥٤٢ - ٤٣ - ٩٩٦٠
١- التصوف الاسلامي أ- العنوان
ديوي ٢٦٠ ١٤٢٣/٦٣٢٤

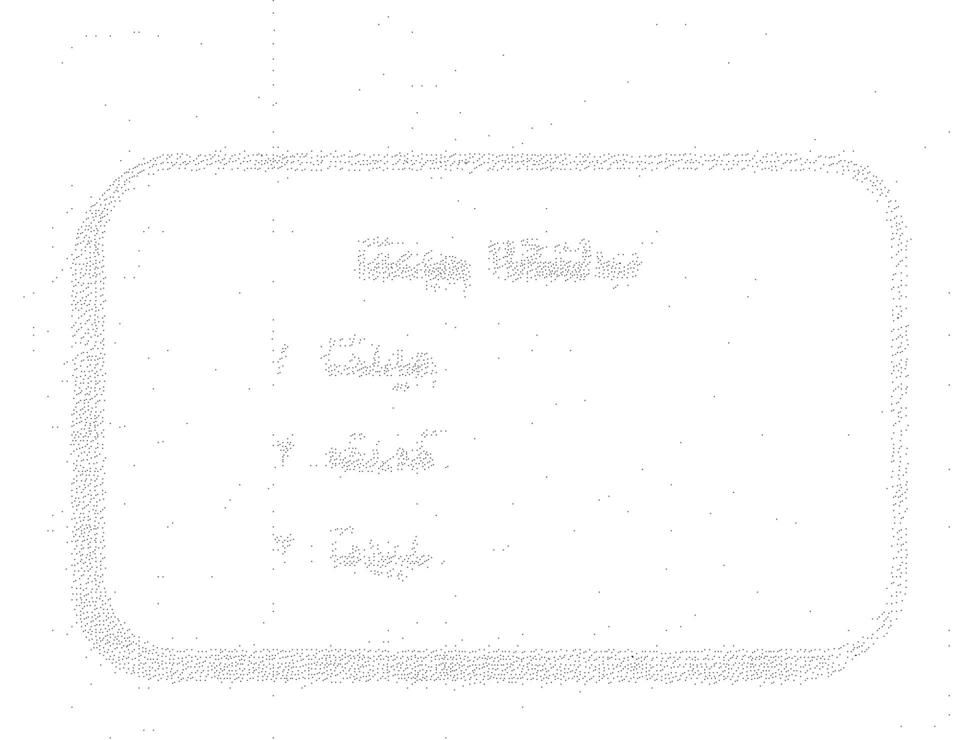
رقم الإيداع: ١٤٢٣/٦٣٢٤
ردمـك: ٣ - ٥٤٢ - ٤٣ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م



تقديم الكتاب







تقديم فضيلة الدكتور / جمال المراكبي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد:

فإن شطحات الصوفية وضلالاتهم لا حدود لها، غيرت دين الإسلام النقي الخالص، فمن شطحات اعتقادية يضاهئون بها قول الذين كفروا وزيادة، كالقول بالحلول، والاتحاد، وتصرف الأقطاب والأبدال ممن يزعمون لهم الولاية في الكون بزعمهم، إلى شطحات تعبدية تكثر فيما يطلقون عليه الطرق الصوفية، فيعبدون الله بغير ما شرع على لسان رسوله ﷺ، ويوردون من الأوراد والأذكار المبتدعة ما لم يأذن به الله، ويزعمون أن تلاوته أعظم أجراً من تلاوة القرآن، ومن الأذكار المأثورة عن النبي ﷺ.

ومن تصوف شيعي يربط بين عقيدة الولاية والإمامة، إلى تصوف يزعمون أنه سني يعظم فيه أبو بكر وعمر وعثمان ويردون به على أرباب التصوف الشيعي، وكل يعظم طريقته ومنهجه دونما اهتمام بمنهج أهل السنة والجماعة.

ولو تتبعت أخي القارىء ضلالات الصوفية في الاعتقاد والتعبد والسلوك والأخلاق لاحتجت إلى مجلدات ومجلدات.

وقد كتب علماء السنة في نقد التصوف والمتصوفة في كل زمان ومكان مُحذرين وناصحين[1] فيما انطلى منهج المتصوفة على

(١) كالبقاعي، وابن تيمية وابن القيم وابن الجوزي وغيرهم ومؤلفاتهم في ذلك مشهورة،=

كثير من العباد والعلماء حتى رأوا فيه التطبيق المثالي للسلوك في الإسلام، وأنه محاولة لتحقيق مقام الإحسان، أعلى مقامات دين الإسلام، وأخطأوا في ذلك خطأً مبيناً.

وهذا الكتاب بين يديك أخي القارىء فيه نقد للمناهج الصوفية، وبيان لضلالات أربابها، والتحذير منها في أسلوب مختصر وبسيط، وهو خلاصة لكتابات كثيرة مطولة ومختصرة، فجزى الله كاتبه ومن سبقه من علماء السنة إلى ذلك خير الجزاء، ونفع الله به عموم المسلمين، ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيي عن بينة﴾.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

= وكالحافظ ابن حجر في فتح الباري، ومثل كتابات المشايخ عبدالرحمن الوكيل وأبي بكر الجزائري وغيرهم كثير.

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أدى الرسالة، وبلغ الأمانة، ونصح الأمة، وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بزيادة أو نقص إلا هالك، فكملت علينا به النعمة، ووجب شكر المنعم سبحانه القائل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾﴾[1]. فله الحمد سبحانه عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

أما بعد: فهذا بحث في مظاهر الغلو عند الصوفية بإشراف الشيخ علي بن محمد الدخيل الله.

وسبب اختياري لهذا البحث هو أنني عشت في هذه البلاد الطاهرة لا أعرف التصوف، ثم سافرت إلى إحدى البلاد العربية للدراسة، فدخلت أحد مساجدها الكبيرة لصلاة العشاء، فإذا جماعة قد اصطفوا صفين يغنون ويصفقون في المسجد، فظننت أن

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

عندهم زواجاً، فسألت عنهم فقيل: هذا ذكر الطريقة الشاذلية من الصوفية، فبحثت التصوف فإذا هو عنوان تحته الكثير من العقائد والطقوس الغريبة على الإسلام، وقدتناقشت مع عدد من شيوخ ذلك البلد في شأنهم ووجوب إنكار بدعهم وضلالاتهم وخاصة ما كان كفراً بواحاً مثل طوافهم بقبور الموتى طلباً لشفاعتهم والنفع منهم، فوجدت طائفة من هؤلاء المشايخ يوافقون بأفواههم وقلوبهم أشربت حب التصوف، فاستعنت بالله وكتبت هذا المؤلف نصحاً لأخواني المسلمين، وإبراء للذمة، وإيضاحاً للحق.

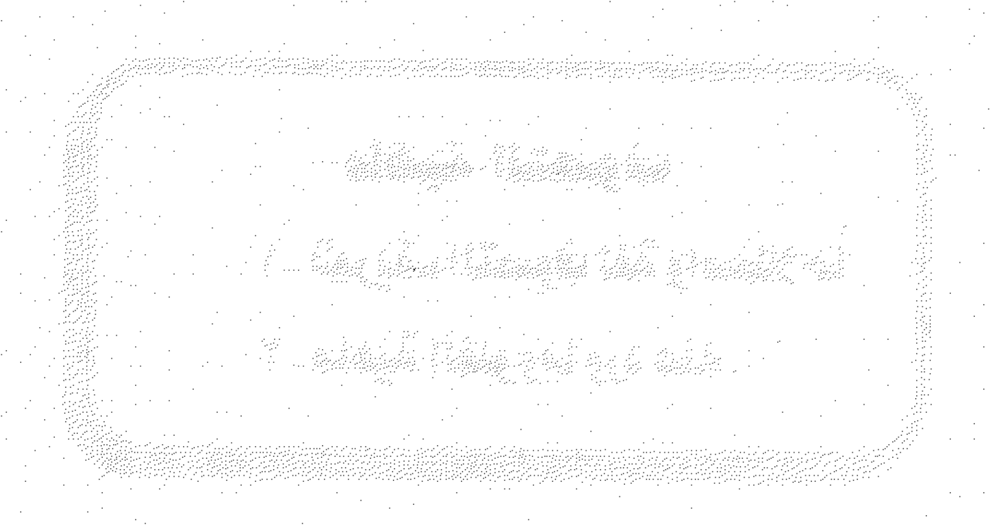
هذا وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، وأن يهدينا وجميع المسلمين. آمين.

ماهية التصوف

١ ـ تعريف التصوف لغة واصطلاحاً

٢ ـ ماهية الغلو وما ورد عنه .







تمهيد

١ ـ تعريف التصوف:

أ ـ في اللغة :

قال الجوهري[١] : الصوف للشاة والصوفة أخص منه، ويقال : أخذت بصوفة رقبته وبظاف رقبته وبقوف رقبته وبقاف رقبته، قال ابن الأعرابي : أي بجلد رقبته.

وصوفه أبو حي من مضر وهو الغوث بن مر بن أد بن طبخة بن إلياس بن مضر كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحاج أي يفيضون بهم، وكان يقال في الحج : «أجيزي صوفة» ومنه قول الشاعر :

حتى يقال أجيزوا آل صوفانا

وكبش صاف أي كثير الصوف، تقول منه صاف الكبش بعدما زمر يصوف صوفاً وصوفاً فهو صاف وأصوف وصائف وكذلك صوف الكبش بالكسر فهو كبش صَوِفٌ بيِّنٌ الصوف.

ب ـ ما المراد بالصوفية؟

قبل أن نعرف الصوفية نتعرف على مقصدهم من هذه التسمية التي سمّوا بها أنفسهم ثم نعرف معناها في الاصطلاح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ موضحاً ذلك[٢] : وتنازعوا في المعنى الذي أضيف إليه الصوفي ـ فإنه من أسماء النسب كالقرشي والمدني

---

(١) الصحاح للجوهري، المجلد ٤، ص ١٣٨٨ مادة «صوف».
(٢) الفتاوى ج ١١ ص ٥.

وأمثال ذلك فقيل: إنه نسبة إلى «أهل الصفة»[١] وهو غلط؛ لأنه لو كان كذلك لقيل صفّيٌّ وقيل: نسبة إلى الصفوة من خلق الله، وهو غلط؛ لأنه لو كان كذلك لقيل صفوي، وقيل: نسبة إلى صوفة بن بشر بن أد بن طابخة قبيلة من العرب، كانوا يجاورون بمكة من الزمن القديم ينسب إليهم النساك، وهذا وإن كان موافقاً للنسب من جهة اللفظ فإنه ضعيف أيضاً؛ لأن هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النسَّاك؛ ولأنه لو نسب النسَّاك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى؛ ولأن غالب من تكلم باسم «الصوفي» لا يعرف هذه القبيلة ولا يرضى أن يكون مضافاً إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الإسلام، وقيل وهو المعروف أنه نسبة إلى لبس الصوف.

وهناك قول بأن أصل الصوفية يوناني من كلمة «سوفيا» التي تعني الحكمة في لغة اليونان، ورجح هذا القول كثير من الباحثين المعاصرين ويرجح هذا قول أحد مشايخ الصوفية د/ عبدالحليم محمود شيخ الأزهر السابق، قال: «وإذا عجز المنهج العلمي المادي عن دراسة التصوف في حقيقته وجوهره، وعجز المنهج العقلي كذلك، فإن الصوفية جميعاً وفلاسفة الأشراف منذ فيثاغورث وأفلاطون إلى الآن؛ يعلنون منهجاً محدداً يقرونه جميعاً، ويثقون فيه ثقة تامة، ذلك هو المنهج القلبي أو المنهج الروحي أو منهج البصيرة، وهو منهج معروف»[٢] . انتهى.

---

(١) أهل الصفة هم فقراء الصحابة الذين يسكنون في المسجد النبوي.
(٢) صوفيات شيخ الأزهر ت عبدالله السبت ط السلفية الكويتية.

هذا قول شاهد منهم على أصل تسميتهم ومرجع عقيدتهم.

ج ـ تعريف التصوف عند الصوفية:

ما هو التصوف ومن الصوفي؟ قال رويم بن حمد البغدادي: «التصوف مبني على ثلاث خصال: التمسك بالفقر والافتقار، والتحقق بالبذل وترك الغرض والاختيار».

وقال الكرخي: «التصوف هو الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق».

وقال الجنيد: «أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة».

وسمنون: «أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء»[1].

٢ ـ الغلو

أ ـ معنى الغلو في اللغة:

قال الجوهري: «غلا في الأمر يغلو غلواً أي جاوز فيه الحد»[2].

وفي القاموس تحت لفظ «غلا» ما يأتي: «غلا فهو غال وغلا ضد رخص، وأغلاه الله وبعته بالغالي والغلى كغنى أي الغلا وغالاه وبه سام فأبعض، وغلا في الأمر غلواً جاوز حده؛ وبالسهم غلواً وغلوا رفع يديه لأقصى الغاية كغالاه وبه مغالاة، وغلاً فهو رجل غلاء كسماء أي بعيد الغلو بالسهم والسهم ارتفع ذهابه وجاوز المدى وكل مرماة غلوة»[3].

(١) التصوف الإسلامي العربي، ت عبداللطيف الطيباوي، ص ٢٠.

(٢) الصحاح للجوهري، تحقيق عطار ط ٣، ج ٦ ص ٢٤٤٨، مادة «غلا».

(٣) القاموس المحيط للفيروز آبادي ج ٤ ص ٣٧٣ مادة «غلا».

ب ـ الغلو في الكتاب :

ورد النهي عن الغلو في الكتاب في عدة مواضع ، وذكر بلفظ الغلو في آيتين سوف نذكرهما وأقوال المفسرين فيهما ، ليتبين معنى الغلو في الكتاب .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ ﴾[١] .

قال ابن عطية : خاطب تعالى أهل الكتاب من النصارى بأن يدعوا الغلو وهو تجاوز الحد ، ومنه غلا السعر ومنه غلوة السهم . وقوله تعالى : ﴿في دينكم﴾ إنما معناه في الدين الذي أنتم مطالبون به ، فكأنه اسم جنس وأضافه إليهم بياناً أنهم مؤاخذون به وليست الإشارة إلى دينهم المضلل ولا أمروا بالثبوت عليه دون غلو وإنما أمروا بترك الغلو في دين الله على الإطلاق وأن يوحدوا ولا يقولوا على الله إلا الحق ، وإذا سلكوا ما أمروا به فذلك سائقهم إلى الإسلام[٢] .

وقال ابن كثير – رحمه الله – : ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء ، وهذا كثير في النصارى ، فإنهم مجاوزون الحد في عيسى ، حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها ، فنقلوه من حيز النبوة

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١٧١ .

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ت ابن عطية ج ٤ ص ٣١٦ .

إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله ، يعبدونه كما يعبدون الله، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه، فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقًّا أو باطلاً، أو ضلالاً أو رشاداً، أو صحيحاً أو كذباً، ولهذا قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[١] .

وقال ابن سعدي - رحمه الله[٢] - : ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو في الدين، وهو مجاوزة الحد، والقدر المشروع، إلى ما ليس بمشروع وذلك كقول النصارى في غلوهم في عيسى رفعوه عن مقام النبوة والرسالة، إلى مقام الربوبية، الذي لا يليق بغير الله.

فكما أن التقصير والتفريط لا يليق، ومنهي عنه، فالغلو كذلك ولهذا قال: ﴿ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾ وهذا الكلام يتضمن ثلاثة أشياء: أمران منهي عنهما وهما قول الكذب على الله، والقول بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه ورسله. والثالث مأمور وهو قول الحق في هذه الأمور، وكانت هذه قاعدة عامة كلية، وكان السياق في شأن عيسى عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧﴾[٣] . قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في هذه

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣١.

(٢) تفسير كلام المنان، ت الشيخ عبدالرحمن بن سعدي، ج ٢ ص ٢٢٤.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٧.

الآية: أي لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق، ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه، فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة، إلى مقام الإلهية، كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء، فجعلتموه إلهاً من دون الله وما ذلك إلا لاقتدائكم بشيوخكم شيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديماً ﴿وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل﴾. أي وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال، إلى طريق الغواية والضلال.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عبدالرحمن، حدثنا عبدالله بن أبي عفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال: وقد كان قائم قام عليهم، فأخذ بالكتاب والسنة زماناً، فأتاه الشيطان فقال: إنما تركت أثراً وأمراً قد عمل قبلك فلا تحمد عليه، ولكن ابتدع أمراً من قبل نفسك، وادع إليه، وأجبر الناس عليه، ففعل، ثم ادكر بعد فعله زماناً، فأراد أن يتوب منه فخلع سلطانه وملكه، وأراد أن يتعبد، فلبث في عبادته أياماً، فأتي فقيل له: لو أنك تبت من خطيئة عملتها فيما بينك وبين ربك، عسى أن يتوب عليك، ولكن ضل فلان وفلان في سبيلك، حتى فارقوا الدنيا وهم على الضلالة، فكيف لك بهداهم، فلا توبة لك أبداً، ففيه سمعنا هذه الآية[1].

وقال ابن سعدي ـ رحمه الله ـ عند تفسير هذه الآية: أي لا تتجاوزوا، وتتعدوا الحق إلى الباطل، وذلك كقولهم في المسيح: ما تقدم حكايته عنهم، وكغلوهم في بعض المشايخ، متبعين أهواء قوم قد ضلوا من قبل، أي تقدم ضلالهم ﴿وأضلوا كثيراً﴾ من الناس

---

(١) تفسير ابن كثير، الجزء الثاني ص ٦١٧.

بدعوتهم إياهم إلى الدين الذي هم عليه ﴿وضلوا عن سواء السبيل﴾ أي قصد الطريق فجمعوا بين الضلال والإضلال.

وهؤلاء هم أئمة الضلال، الذين نهى الله عنهم، وعن اتباع أهوائهم المردية، وآرائهم المضلة(١). انتهى. فإذن سبب النزول خاص في بني إسرائيل، والحكم عام في من شابههم، خاصة ومن يتفقون معهم في القول بالحلول، والغلو في الدين، على غير وجه حق، وهناك آيات تنهى عن الغلو بغير هذا اللفظ، سنذكرها ـ إن شاءالله ـ في الخاتمة.

جـ ـ ما ورد في الغلو في السنة وأقوال العلماء:

أما الأحاديث الواردة في ذم الغلو فكثيرة، منها حديث ابن عباس في سنن النسائي وغيره أن النبي ﷺ قال: «**إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**».

وفي صحيحي البخاري ومسلم عن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله**». ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثاً، وقد بوّب الإمام البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ باباً في [ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع].

قال العيني في شرح صحيح البخاري(٢):

أي هذا باب في ما يكره من التعمق وهو التشدد في الأمر حتى

---

(١) تفسير كلام المنان، ت الشيخ ابن سعدي ج ٢ ص ٣٢٨.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج ٢٥ ص ٣٦٧.

يتجاوز الحد فيه، والغلو بضم الغين المعجمة واللام وتشديد الواو وهو التجاوز في الحد، قاله الكرماني. قلت: الغلو فوق التعمق، وهو من غلا في الشيء، يغلو غلواً وغلا في السعر يغلو غلاء. وورد النهي عنه صريحاً، فيما أخرجه النسائي، وابن ماجه، والحاكم من طريق أبي العالية، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: فذكر حديثاً وفيه: «**إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من قبلكم الغلو في الدين**»، وهو مثل البحث في الربوبية والتمادي فيه بالباطل، حتى يحصل نزغة من نزغات الشيطان، فيؤدي إلى الخروج عن الحق، والذين غلوا في الكفر بلغ بهم الأمر إلى أن جعلوا الإله ثلاثة ـ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً ـ قوله: (والبدع) جمع بدعة وهي ما لم يكن له أصل في الكتاب والسنة، وقيل: إظهار شيء لم يكن في عهد رسول الله ﷺ وفي زمن الصحابة رضي الله تعالى عنهم؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾[1].

احتج بهذه الآية على تحريم الغلو في الدين، وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى، وإذا قلنا أن لفظ أهل الكتاب للتعميم يتناول غير اليهود والنصارى بالإلحاق.

وأقوال العلماء في ذلك كثيرة، منها أن الشيخ محمد بن

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٧١.

عبدالوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ قال في كتاب التوحيد باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين، قال الشيخ سليمان بن عبدالله ـ رحمه الله ـ في شرحه لكتاب التوحيد تحت هذا الباب(١) : لما ذكر المصنف ـ رحمه الله ـ ما يفعله عباد القبور مع الأموات من الشرك، أراد أن يبين السبب في ذلك ليحذر وهو الغلو مطلقاً لاسيما في الصالحين، فإنه أصل الشرك قديماً وحديثاً، لقرب الشرك بالصالحين من النفوس، فإن الشيطان يظهره في قالب المحبة والتعظيم.

قال شيخ الإسلام: ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى وغلا في الدين بإفراط فيه أو تفريط، وضاهاهم في ذلك، فقد شابههم كالخوارج المارقين عن الإسلام، الذين خرجوا في خلافة علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وقاتلهم حين خرجوا على المسلمين بأمر النبي ﷺ، كما ثبت ذلك من عشرة أوجه في الصحاح والمساند وغير ذلك، وكذلك من غلا في دينه، من الرافضة والقدرية والجهمية والمعتزلة والأشاعرة، وقال أيضاً: فإذا كان على عهد رسول الله ﷺ من انتسب إلى الإسلام وقد مرق منه مع عبادته العظيمة، فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة في هذه الأزمان، قد يمرق أيضاً من الإسلام، وذلك لأسباب منها الغلو الذي ذمه الله، في كتابه حيث قال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾(٢) وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ حرق الغالية

(١) تيسير العزيز الحميد ت الشيخ سليمان بن عبدالله، ص ٢٦٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٧١.

من الرافضة، فأمر بأخاديد خدت لهم، عند باب كندة، فقذفهم فيها، واتفق الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ على قتلهم، لكن ابن عباس كان مذهبه أن يقتلوا بالسيف من غير تحريق، وهو قول أكثر العلماء.

الباب الأول

الغلو عند الصوفية في الإلهيات

١ ـ الفصل الأول : الحلول.

٢ ـ الفصل الثاني : الاتحاد.

٣ ـ الفصل الثالث : الفناء.

٤ ـ الفصل الرابع : عبادة الأنثى.

٥ ـ الفصل الخامس : وحدة والوجود.

٦ ـ الفصل السادس : إشراكهم البشر في الربوبية والألوهية.



الفصل الأول

الحلول

من العقائد التي وجدت عند بعض الصوفية الحلول.

تعريفه:

قيل في الحلول هو اختصاص شيء بشيء؛ بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما غير الإشارة إلى الآخر[1]، وقيل: حلول شيء في شيء أن يكون مختصًّا به سارياً فيه.

واستعمل بعض المتصوفة الحلول، ليشيروا به إلى الصلة بين الرب والعبد، أو اللاهوت والناسوت، وهذا يعني حلول روح الإله في أجساد طوائف خاصة كالأنبياء والأئمة، فاكتسبوا بذلك بعض صفات الألوهية.

قال الحسين بن منصور الحلاج:

سبحان من أظهر ناسوته
برسنا لاهوته الثاقب
وقد جاء فيما بيننا قائماً
في صورة الآكل الشارب

وقد قسمهم ابن القيم - رحمه الله تعالى - إلى قسمين[2]:

١ - فريق يقول بالحلول الخاص في بعض أفراد البشر، كما ذهب إليه

---

(١) انظر وحدة الوجود، ت خضر عبداللطيف.

(٢) انظر شرح قصيدة ابن القيم، د. محمد خليل هراس.

النصارى في عيسى عليه السلام، حيث زعموا أن اللاهوت وهو الله حل في الناسوت، أي في جسد عيسى عليه السلام، وكما ادعاه السبائية بألوهية علي ـ رضي الله عنه ـ وقد حرقهم علي رضي الله عنه، وكان الحسين بن منصور الحلاج يزعم أن الله حل فيه، إذ يقول في بعض شعره:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا
نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته
وإذا أبصرته أبصرتنا

وقد أفتى علماء عصره بردته، ووجوب قتله، حين ظهر بتلك المقالة الشنيعة، فقتل لعنه الله.

٢ ـ وفريق يقول بالحلول العام، وهم الذين يرون أن الله عز وجل حال بذاته في كل جزء من أجزاء العالم، بحيث لا يخلو منه مكان، ويشبهونه ـ تعالى عما يقولون ـ بالهواء الذي يملأ الخلاء، ومع ذلك لا يراه أحد، ومنهم من يقول أن هذا العالم جسم كبير، والله عز وجل هو الروح الكامنة في هذا الجسم المدبر له، فهو سائر في جميع أجزائه، كحلول الروح في البدن الإنساني والحيواني.

وقسم بعض الباحثين الحلول إلى قسمين قريب مما ذكرنا ويشبهه في المعنى، وهذه المقالة بنوعيها تناقض الإسلام.

وقد رد عليها كثير من العلماء، وبينوا أن من قالها فقد خالف الإسلام، فأصحاب الحلول الخاص قد ذكرهم القرآن، وبين

كفرهم حين ذكر قول النصارى في عيسى حين قالوا: حل اللاهوت في الناسوت، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٨٢)﴾[١].

أما الذين قالوا إن الله حال في كل مكان، فهؤلاء أخبث منهم درجة؛ حيث لم ينزهوا الله سبحانه عن الأماكن القذرة، والحيوانات ـ تعالى الله عما يقول المبطلون ـ ومعلوم أن الله سبحانه فوق عرشه بائن من خلقه، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ (٥)﴾[٢].

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٧٢، ٧٣.

(٢) سورة طه، الآية: ٥.

الفصل الثاني
الاتحاد

الفرق بين الاتحاد والحلول كما ذكره د. محمد يوسف بقوله: إن أصحاب هذه الفكرة يتفقون مع من قال بالحلول، في الاعتراف بوجود خالق ومخلوق مختلفين، إلا أن بينهما فرقاً طفيفاً وهو أن الحلوليين يرون تنازل الله تعالى ـ إن صح التعبير ـ فيحل في بعض المصطفين من عباده على حين يرى الاتحاديون أن هؤلاء المصطفين يرتفعون بنفوسهم، ويسمون بأرواحهم، إلى مقام الله تعالى حتى تفنى فيه أو تتحد به[١].

وقوام هذه الفكرة اعتراف بوجودين منفصلين عن بعضهما البعض، لا كما يقول ذلك أصحاب فكرة الحلول، أي أنهم يعترفون بوجود خالق ومخلوق مختلفين منفصلين، فهو بهذا مذهب اثنيني، وهذا موجود في مجملات الصوفية وهو ما يوجد في بعض كلامهم من الكلمات المجملة المتشابهة، كما ضلت النصارى فيما يروونه عن المسيح، فيتبعون المتشابه ويتركون المحكم، وأيضاً كلمات المغلوبين على عقولهم، الذين تكلموا في حال السكر[٢].

وهذا القول مخالف للإسلام، ويمجه العقل، وسوء خلق مع الخالق ـ عز وجل ـ إذ أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الكامل الغني

(١) انظر فلسفة الأخلاق في الإسلام، محمد يوسف.
(٢) انظر وحدة الوجود، خضر عبداللطيف.

الحميد، والبشر خطاءون ضعفاء فكيف يساوون خالقهم، فشتان بين هذا وذاك، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[1] سبحانه تنزه عن قول المبطلين.

(١) سورة الشورى، الآية: ٥١.

الفصل الثالث
الفناء (وحدة الشهود)

من أصول المتصوفة الفناء(١) ، وحقيقته أن المريد إذا داوم على الإكثار من الذكر، حصل له بذلك طمأنينة القلب، ثم يعتريه الذهول ثم السكر، بحب المذكور ثم الفناء عن الأكوان، بمعنى أنه يصبح لا يرى شيئاً غير المذكور ويسمونه الفناء عن شهود السوى أي لا يشاهد أحداً سوى مذكوره، ثم يفنى عن الفناء حتى إذا وصل إلى هذا الحد انمحق الغير والغيرية، بهدم جميع الرسوم والأطلال، وانمحاق جميع الآثار، فلم يبق إلا معاينة الحق في الحق للحق وبالحق، ويعرِّفون الفناء بأنه عبارة عن اضمحلال الكائنات - في نظرهم - مع وجودها وأنه الغيبة عن نسبة أفعالهم إليهم، أو هو بأن يكون الولي بحال لا يشاهد فيها شيئاً غير الله تعالى، كما لا يشاهد في النهار الكواكب إذا طلعت الشمس.

---

(١) الفناء ثلاثة أنواع:

أولها: فناء عن إرادة السوى بأن تكون نية العبد خالصة لله في جميع أعماله، وهذا العمل مشروع.

ثانيها: فناء عن مشاهدة السوى، بأن يغيب المرء عن الدنيا، وهذا إذا قصده الإنسان فإن عمله يكون بدعة لعدم فعل الصحابة له، أما إن حصل للإنسان بدون قصد منه فلا يذم عليه ولا يمدح به.

ثالثها: فناء عن حقائق السوى، وهذا هو الحلول الذي سبق الحديث عنه في الفصلين السابقين.

وعندما توزن أقوالهم هذه في ميزان الشرع وينظر إليها بمنظار الوحي والكتاب والسنة، فلن يبقى منها إلا ما يحصل للقلب المؤمن من الطمأنينة والهداية بذكر الله تعالى، وعلى شرط أن يكون الذكر بالمشروع من الأذكار، وعلى النحو الذي جاء الشارع به وبينه من الكمية والكيفية وذلك لقول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ۝٢٨ ﴾[1] .

أما تلك الشطحات والترهات من السكر، والذهول، والفناء، وفناء الفناء، والانمحاق، فإنها لا تعدو كونها مقدمات فاسدة، وضعوها لتنتج لهم شر النتائج وأفسدها، وهي الحلول والاتحاد، ووحدة الوجود، على هذا قولهم إذا وصل المريد هذا الحد انمحق الغير والغيرية ولم يبق يشاهد إلا الله تعالى فتصبح الكائنات كلها الله في زعمهم - أقمأهم الله ولعنهم - فما لهم عموا عن قول الله تعالى[2] : ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١ ﴾[3] .

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٣) انظر إلى التصوف يا عبدالله، ت الشيخ أبو بكر الجزائري.

الفصل الرابع

عبادة الأنثى

من قبيح قولهم زعموا أن الله ـ تنزه عنهم ـ قد تجلى لهم في صورة أنثى، ولابن عربي في ذلك كلام قبيح في كتابه (فصوص الحكم) لن أدنس كتابي بذكره، ولابن الفارض غزليات قبيحة في ذلك، ويزعم أنه يتجلى في صورة لبنى وليلى إلى غير ذلك من قوله في قصيدته المسماة نظم السلوك:

لهـــا صلـــواتي بـــالمقـــام أقيمهـــا
وأشهـــد فيهـــا أنهـــا لي صلـــت
ومـــا زلـــت إيـــاهـــا وإيـــاي لم تـــزل
ولا فـــرق بـــل ذاتي لـــذاتي أحبـــت
فـــإن دعيـــت كنـــت المجيـــب وأن أكـــن
منـــادى أجـــابـــت مـــن دعـــاني ولبـــت

وقد عاش ابن الفارض في هذا الوهم طول حياته، فلما أدركته الوفاة علم جهله وضلاله، وندم ولات ساعة مندم، فقال:

إن كـــان منـــزلتـــي في الحـــب عنـــدكـــم
مـــا قـــد لقيـــت فقـــد ضيعـــت أيـــامـــي
أمنيـــة ظفـــرت نفسي بهـــا زمنـــاً
واليـــوم أحسبهـــا أضغـــاث أحـــلامـــي

وقولهم هذا أقبح من قول المشركين، الذين جعلوا الملائكة إناثاً، وقد أنكر عليهم القرآن ذلك، وهناك آية تنطبق على قول الصوفية هذا تمام الانطباق، قال تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾[1].

(١) سورة النساء، الآية: ١١٧.

الفصل الخامس

وحدة الوجود

وصورة هذا المذهب بكل وضوح هو أنه ليس هناك إلا وجود واحد كل العالم مظهر له، أي أن الله ـ عز وجل تعالى عما يقولون ـ حالّ في كل شيء، وهو الوجود الحق، وهو في عالم الحيوان حيوان، وفي عالم النبات نبات، وفي عالم الجماد جماد، فالله مثبت في كل شيء، من سماء وأرض وشجر وحيوان، وما إلى ذلك كله، مما خلق حتى عجل بني إسرائيل. هو بعض محال الله ومظاهره، ولهذا صح لموسى عليه السلام في نظرهم، أن يقول للسامري ﴿وانظر إلى إلهك﴾ هكذا يقول ابن عربي ويتناسى تتمة الآية وهو قوله تعالى: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا﴾[1] مما يدل دلالة واضحة لا تحتمل الجدل والمكابرة، على ما في خطاب موسى عليه السلام للسامري من تهكم به وبما صنع، ويوضح هذه المعاني المغلوطة أقوال رؤوس هذه الفكرة وخاصة ابن عربي إذ يقول:

عقد الخلائق في الإله عقائد
وأنا اعتقدت جميع ما عقدوه

وقوله:

العبد رب والرب عبد
فليت شعري من المكلف

---

(١) سورة طه، الآية: ٩٧.

إن قلـــت عبـــد فـــذاك رب
أو قلـــت رب أنّـــى يكلـــف(١)

رأي ابن تيمية في شطحات هؤلاء الملحدين:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فيهم: هؤلاء الملاحدة الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من وجهين: من جهة أن أولئك قالوا إن الرب يتحد بعبده الذي قربه واصطفاه بعد أن لم يكونا متحدين، وهؤلاء يقولون مازال العبد هو الرب وغيره من المخلوقات ليس هو غيره. (والثاني) من جهة أن أولئك خصوا ذلك بمن عظموه كالمسيح وهؤلاء جعلوا ذلك سارياً في الكلاب والخنازير والقذر والأوساخ وإذا كان الله تعالى قال: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾(٢) فكيف بمن قال إن الله هو الكفار، والمنافقون، والصبيان، والمجانين، والأنتان، وكل شيء وإذا كان الله قد رد قول اليهود والنصارى لما قالوا ﴿ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ﴾ وقال لهم: ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾(٣)، فكيف بمن يزعم أن اليهود والنصارى هم أعيان وجود الرب الخالق، ليسوا غيره ولا سواه، ولا يتصور أن يعذب إلا نفسه، وإن كل ناطق في الكون فهو عين السامع، وإن الناكح عين المنكوح(٤).

(١) انظر وحدة الوجود، ت خضر ساوندا.
(٢) سورة المائدة، الآية: ١٧.
(٣) سورة المائدة، الآية: ١٨.
(٤) مجموعة الرسائل والمسائل، ابن تيمية ج ٤، ص ٢٥.

الفصل السادس

إشراكهم البشر في الربوبية والألوهية

إن المشركين على عهد رسول الله ﷺ كانوا من المقرين لله بالربوبية، قال تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾[1]، أما الصوفية فيزعمون أن أقطابهم وأوتادهم وأولياءهم يشاركون الله ـ سبحانه وتنزه عنهم ـ في الربوبية فيعلمون الغيب، ويحيون الموتى، ويدبرون الأمر في الكون، وأمثلة ذلك عندهم كثيرة منها ما ذكره الشعراني في ترجمة الشيخ جاكير[2] قال: وكان يقول: ما أخذت العهد قط على مريد حتى رأيت اسمه مكتوباً في اللوح المحفوظ، وأنه من أولادي إذاً فهو يعلم الغيب - بزعمه - فأين هم من قول الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾[3].

ومن أمثلة زعمهم مشاركة الله سبحانه وتعالى في الربوبية ما ذكره الشعراني في ترجمته لسويد السخاوي قال: وهو أحد من ملكه الله تعالى التصرف في العالم وجمع له بين علمي الشريعة والحقيقة[4]، فأين الشعراني وأتباعه من الصوفية عن قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَن

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣١.

(٢) طبقات الشعراني، ص ١٧٤.

(٣) سورة النمل، الآية: ٦٥.

(٤) طبقات الشعراني، ص ١٧٧.

يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾[1] ، وهم يقولون عن الولي أنه لا يعزب عن قدرته شيء من الممكنات، وهم بذلك يدعون أنه مثل الله إن لم يكن هو الله ـ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً ـ.

ويتضح لنا أن هذه الفئة من الصوفية أشد شركاً من مشركي العرب، حيث أن مشركي العرب مقرون بالربوبية، وأما الصوفية فيزعمون أن أولياءهم يشاركون الله في الربوبية.

وأما إشراكهم في الألوهية فهو واضح للعيان، فيدعون غير الله، ويذبحون لغير الله، ويطوفون بالقبور، وهذا ظاهر دينهم وشعاره ويعرفه عنهم الخاص والعام، ومن أمثلة ذلك عندهم ما ذكر في كتبهم عن النقشبندية من الصوفية أن أحد مريدي الشيخ محمد المعصوم كان راكباً على فرس فجفلت، فسقط على الأرض، وبقيت رجله معلقة في الركاب، وجعلت الفرس تعدو به، حتى أيقن بالهلاك، فاستغاث بحضرة القيوم ـ أي بالشيخ محمد المعصوم ولاحظ وصف الكاتب للشيخ بحضرة القيوم ـ قال: فرأيته حضر وأوقفها وأركبني، وكذلك استغاث به رجل في سفينة، كادت تغرق به، فاستغاث بالشيخ، فمد الشيخ يده، وكان جالساً بين أصحابه في بيته، فمد يده وانتشل السفينة، وابتل كمه لذلك، مع أن المسافة بين المستغيث والمستغاث به شاسعة، فتعجب تلامذته وأصحابه حين رأوا كمه قد ابتلّ بعد أن مد يده في

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣١.

الهواء[1].

لنترك التعليق للقارىء على هذا ونقول سبحانك هذا بهتان عظيم، ومن أمثلتهم في ذلك قول شاعرهم:

يا سيدي يا صفي الدين يا سندي
يا عمدتي بل ويا ذخري ومفتخري
أنت الملاذ لما أخشى ضرورته
وأنت لي ملجأ من حادث الدهري
وامنن علي بتوفيق وعافية
وخير خاتمة مهما انقضى عمري
وكف عنا أكف الظالمين إذا امتدت
بسوء لأمر مؤلم نكري
فإني عبدك الراجي بودك ما
أملته يا صفي السادة الغرر

قال بعض العلماء: فلا ندري أي معنى اختص به الخالق تعالى بعد هذه المنزلة! وماذا أبقى هذا المتكلم الخبيث لخالقه من الأمر، فإن المشركين أهل الأوثان ما يؤهلون من عبدوه لشيء من هذا[2]، ومعلوم أن الشيخ يطلب من مريديه أن يستغيثوا عند الشدائد.

قلت: وهذا الشرك هو الذي قاتل رسول الله ﷺ المشركين عليه، واستحل دماءهم به وأموالهم، وقال الشيخ محمد بن

(١) انظر النقشبندية، ت عبدالرحمن دمشقية ص ٤٨.
(٢) انظر تيسير العزيز الحميد، ت سليمان بن عبدالله ص ١٩٠.

عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ: اعلم أن مشركي زماننا هذا أشد شركاً من المشركين الأولين، وذلك أن المشركين الأولين يشركون في الرخاء، فإذا ركبوا الفلك واشتد بهم الأمر دعوا الله مخلصين له الدين، وأما مشركو زماننا فإذا اشتد بهم الأمر دعوا البدوي والجيلاني وغيرهما من الأقطاب والأبدال ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ والصوفية بالإضافة إلى ذلك يلحدون في أسماء الله وصفاته فمنهم من ينفي بعض الصفات، ومنهم من ينفيها كلها ومنهم من ينفي الأسماء والصفات كما هو موجود في كتبهم، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[1].

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.



الباب الثاني

الغلو عند الصوفية في النبوات

١ - الفصل الأول: ختم الولاية وتفضيلها على النبوة.

٢ - الفصل الثاني: زعمهم حياة النبي ﷺ ورؤيتهم له.

٣ - الفصل الثالث: قولهم أن النبي ﷺ ليس من البشر وإنما من النور..

٤ - الفصل الرابع: فيما يزعمون تلقيهم عن النبي ﷺ بعد موته.

٥ - الفصل الخامس: إشراكهم بالنبي ﷺ في العبادة.



الفصل الأول

ختم الولاية وتفضيلها على النبوة

يدينون بأن النبوة أعلى من الرسالة، وبأن الولاية أعلى من النبوة، فيكون الولي عندهم أسمى مقاماً من النبي والرسول، وبهذا المعنى يقول ابن عربي:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

ويقولون: إن الولي يعلم الشريعة والحقيقة وخبير بالظاهر والباطن، والنبي والرسول لا يعلمان سوى الشريعة والظاهر فحسب، ويقولون: بأن الولي يستمد علومه من الله مباشرة، بعكس الرسول الذي يأخذ بواسطة الملك، ومن تعظيمهم للأولياء يتهمون الأنبياء والرسل بأنهم ما عرفوا التوحيد الحق على حين يقولون بأن فرعون وكل مشرك ملحد عارف الله.

يقول ابن عربي: إن فرعون وآله وكل مشرك وكافر وفاسق وعاص في الجنة، ناجون فإنهم عرفوا حقيقة التوحيد، أي توحيدهم الصوفي الشركي، أما الأنبياء فلم يكونوا يعرفون ذلك التوحيد بل ويعترفون في مكان آخر أنهم على دين فرعون، وهذا كفر صريح، وشهادة على أنفسهم بالخروج عن الإسلام، يعرفه كل مسلم قرأ القرآن.

فهل من المعقول أن ابن عربي الملحد والتيجاني الكذاب أفضل من المصطفى ﷺ؟!

وفي الحديث الشريف: «أنا خير ولد آدم ولا فخر». وقد أضافوا إلى ذلك أن كل كذاب منهم يزعم أنه خاتم الأولياء ثم يأتي من بعده فيكذبه كما فعل ابن سبعين مع من قبله، وابن عربي والتيجاني، ويرد على زعمهم أنهم أفضل من النبي ﷺ لأنهم أولياء، والولاية أفضل من النبوة، فنقول لهم: هل أنتم من أمة محمد ﷺ أم لا؟ فإن زعموا أنهم من أمة محمد ﷺ فقد كذَّبوا أنفسهم لأنه ورد في حديث ذكره الواقدي بسنده عن ابن عباس ذكر فيه نزول ملكين عليه ﷺ ثم قالا في آخر الحديث: «لو وزنته بأمته لوزنهم»(١).

فإن النبي ﷺ أفضل من جميع أمته مجتمعين وليهم وغيره، ومن زعم أنه أفضل من النبي ﷺ فقد أخرج نفسه من الإسلام. وقال الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق: ولا شك بعد هذا أن دعوى ختم الولاية هي من الكفر الصريح الذي لا يجوز أن يماري فيها مؤمن يعي عن الله ورسوله ﷺ خاصة إذا أضيف إلى ذلك الزعم بتفضيل خاتم الأولياء هذا على خاتم الأنبياء ﷺ. وقد نص ابن تيمية - رحمه الله - في مواطن كثيرة على كفر من زعم ذلك كقوله: ومن الأنواع التي في دعواهم أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من بعض الوجوه، فإن هذا لم يقله أبو عبدالله الحكيم الترمذي ولا غيره من المشايخ المعروفين، بل الرجل أجل قدراً وأعظم إيماناً من أن يفتري هذا الكفر الصريح ولكن أخطأ شبراً ففرعوا على خطئه ما صار كفراً(٢).

---

(١) ذكره ابن كثير في البداية وقال: إسناده جيد قوي ص ٢١٥.

(٢) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ت عبدالرحمن عبدالخالق، ص ٢٥٩.

وقال في شرح الطحاوية بعد ذكر كلامهم: فيجعل نفسه أعلى وأفضل من الرسول؟! تلك أمانيهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾[1] وكيف يخفى كفر من هذا كلامه وكفر ابن عربي وأمثاله فوق كفر القائلين ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾[2]، ولكن ابن عربي وأمثاله منافقون زنادقة والاتحادية في الدرك الأسفل من النار، والمنافقون يعاملون معاملة المسلمين لإظهارهم الإسلام، كما كان يظهره المنافقون في حياة النبي ﷺ ويبطنون الكفر، وهو يعاملهم معاملة المسلمين لما يظهر منهم، فلو أنه ظهر منهم ما يبطنونه من الكفر لأجرى عليهم حكم المرتد[3].

قلت: ويذكرون في كتبهم كلام يوجب الردة فيعاملون به.

---

(١) سورة غافر، الآية: ٥٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

(٣) شرح الطحاوية، ت ابن أبي العز ص ٤٢٥.

الفصل الثاني

زعمهم حياة النبي ﷺ ورؤيتهم له

ويكثر هذا القول في طائفة التيجانية حيث ذكر في جوهر المعاني [وقال رضي الله عنه أخبرني سيد الوجود يقظة لا مناماً قال: أنت من الآمنين ومن رآك من الآمنين مات على الإيمان][1] .

وقال في رماح حزب الرحيم: [ولا يكمل العبد في مقام العرفان حتى يصير يجتمع برسول الله ﷺ يقظة ومشافهة. . . إلخ][2] .

وقال في الدرة الخريدة: وأما الذي هو أفضل وأعز من دخول الجنة، فهو رؤية سيد الوجود ﷺ في اليقظة، فيراه الولي اليوم كما يراه الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فهي أفضل من الجنة.

أقول وهم أيضاً ـ أي التيجانية ـ أفضل من الصحابة!! لأن النبي ﷺ لم يظهر لهم من حين وفاته، وأما التيجانية فيرونه ويكلمهم، وأخبث من هذا أنه يحضر تغييرهم، ومكائهم وتصديتهم المسمى بالذكر، فيفرشون له منديل أبيض في وسطهم، ويصفقون وينعقون عنده ويسمونها الحضرة، فأين هم من قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[3] ، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا

---

(١) جواهر المعاني ١ ـ ١٢٩.

(٢) رماح حزب الرحيم ١ ـ ١٩٩.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾[١] .

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم: «**أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى على ظهر الأرض ممن هو اليوم عليها أحد**».

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ قبل موته: «**ما من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي يومئذ حية**» ولكن الصوفية عن الحق معرضون، ويزعمون حياة النبي ﷺ وأيضاً الخضر عليه السلام يرونه مراراً ويوحي إليهم وما يرون إلا الشيطان ولكن لا يشعرون.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٤.

الفصل الثالث

قولهم أن النبي ﷺ ليس من البشر وإنما من النور

ومن شطحات الصوفية وكلامهم في اجتماعاتهم أن النبي ﷺ ليس من البشر وإنما خلق من نور، ويقولون إنه سر الوجود وأن الدنيا ما خلقت إلا من أجله، ويسوقون فيها أحاديث مكذوبة ويزعمون أن أبوي النبي ﷺ مسلمان، وإذا قيل لهم إنهم ماتوا قبل الإسلام قالوا إنهم بعثوا له أي أخرجوا من قبورهما أحياء، ثم أسلما، ورجعا إلى قبورهما، وهذا يخالف الأحاديث الصريحة في ذلك، وهو قول على الله بغير علم، والعجيب أن من يدعي العلم من الأشعرية يوافقهم في القول بحياة أبوي النبي بعد الإسلام وإسلامهما.

وقد ورد على شيخ الإسلام سؤال في هذا منه:

س: وهل خلق النبي ﷺ من نور أم خلق من الأربعة عناصر أم من غير ذلك؟

وهل يصح الحديث الذي يذكره بعض الناس: «لولاك ما خلق الله عرشاً ولا كرسياً ولا أرضاً ولا سماءً ولا شمساً ولا قمراً ولا غير ذلك؟

فأجاب ابن تيمية رحمه الله: والنبي ﷺ خلق مما يخلق منه البشر ولم يخلق أحد من البشر من نور بل قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: **«إن الله خلق الملائكة من نور، وخلق إبليس من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»**.

ومن قال: إن الله خلق من أجله العالم، أو أنه لولاه لما خلق عرشاً ولا كرسياً، ولا سماءً، ولا أرضاً، ولا شمساً، ولا قمراً، ليس هذا حديث عن النبي ﷺ لا صحيحاً ولا ضعيفاً، ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث عن النبي ﷺ ولا يعرف عن الصحابة[١] انتهى.

فهو مكذوب وليس غريب على الصوفية، بل إن نص القرآن يخالف هذا، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[٢].

وفي زعمهم أن محمد ﷺ لم يخلق مما خُلق منه البشر يرده قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[٣].

(١) فتاوى ابن تيمية ج ١١ ص ٩٤.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

الفصل الرابع

فيما يزعمون تلقيهم عن النبي ﷺ بعد موته

يزعمون أنهم يتلقون عن النبي ﷺ ويأتون بالعظائم والشركيات والكفريات، وينسبونها إلى النبي ﷺ؛ ليرجوا باطلهم على العوام، فهذا ابن عربي يقول في كتابه «فصوص الحكم» أنه رأى النبي ﷺ في المنام وأعطاه الكتاب، وقال: اخرج به إلى الناس، ثم يقول بعد ذلك:

من الله فاسمعوا وإلى الله فارجوا

وكأنه يقول هذا الكفر ليس من عندي إنما من عند رسول الله، وباب كذب المنامات على النبي، وعلى غيره مفتوح لهم على مصراعيه، وهو من مصادر دينهم المبهمة عندهم، وزاد عليهم التيجاني وأتباعه، فزعموا أنهم يرون النبي ﷺ حقيقة لا مناماً، وقد أعطاهم دينهم بالمشافهة فهم يتلقون منه صبحاً وعشية، ومن أمثلة ذلك قال في جواهر المعاني عن الصلاة المسماة بياقوتة الحقائق: (هي من إملاء رسول الله ﷺ من لفظه الشريف على شيخنا يقظة لا مناماً). وقال أيضاً: (سأل سيد الوجود، وعالم الشهود ﷺ في كل نفس مشهود عن نسبه، وهل هو من الأبناء والأولاد، أو من الأحفاد، فأجابه ﷺ بقوله: أنت ولدي حقًّا، كررها ثلاثاً ﷺ، وقال: نسبك إلى الحسن بن علي صحيح، وهذا السؤال من سيدنا رضي الله عنه لسيد الوجود يقظة لا مناماً، وبشره ﷺ بأمور عظام جسام ﷺ وشرف وكرم ومجد عظيم[1].

---

(١) جواهر المعاني ج ١ ص ٣٠ ـ ٣١.

المناقشة:

إن هذه الأشياء تخالف العقل الصحيح، فكيف بالنقل الصريح، إذ كيف يكون النبي ﷺ يأمر بالكفر والشرك! وهل هذا نسخ لشريعة محمد ﷺ وهذا محال، أم النبي ﷺ لم يكمل الإسلام فهم يكملونه، وقد أنزل على رسول الله ﷺ قبل موته قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[3]، وهدفهم من هذا كله هو ترويج باطلهم، وإضفاء الشرعية عليه بنسبته إلى النبي ﷺ ولو بالكذب، وهم بذلك لا يخرجون عن أحد رجلين:

١ ـ رجل ضعيف العقل تتصور له الشياطين ويلعبون بعقله.

٢ ـ ورجل كذاب أشر يكذب على النبي ﷺ وعلى المسلمين وينطبق عليه قول الرسول ﷺ: «**من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**».

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

الفصل الخامس

إشراكهم بالنبي ﷺ في العبادة

وهذا عند الصوفية كثير، وقد ضاهوا به المشركين من النصارى وغيرهم، فمثلاً كثيراً ما يسمع في ذكرهم البدعي، قول البوصيري في البردة المزورة:

يـا أكـرم الخلـق مـا لي مـن ألـوذ بـه
سـواك عنـد حلـول الحـادث العمـم
ولـن يضيـق رسـول الله جـاهـك بي
إذا الكـريـم تحلى بـاسـم منتقـم
فـإن لي ذمـة منـه بتسميتـي
محمـداً وهـو أوفى الخلـق بـالـذمـم
إن لم يكـن في معـادي آخـذاً بيـدي
فضـلاً وإلا فقـل يـا زلـة القـدم

وهذا صاحب كتاب الذخائر المحمدية[1] بعد ذكره لصلاة الفاتح وشرحه لها يذكر قصيدة البكري ومنها:

فـأنـت بـاب الله أي أمـري
أتـاه مـن غيرك لا يـدخـل
فلـذ بـه مـن كـل مـا تشتكـي
فهـو شفيـع وأينـا يقبـل
وحـط أحمـال الـرجـا عنـده
فـإنـه المـرجـع والمـؤمـل

(١) انظر كتاب الذخائر المحمدية لمحمد علوي مالكي.

ونـــاده إذ أزمـــة انشبـــت
أظفـــارهـــا واستحكـــم المعضـــل
فعجـــل بـــإذهـــاب الـــذي أشتكـــي
فـــإن تـــوقفـــت فمـــن ذا أســـأل

ويقول فيها صاحب الذخائر إنها مجربة لقضاء الحوائج وحدد لها وقتاً تقال فيه وهو آخر الليل، وإنها للقطب الكبير سيده محمد بن حسن البكري، هذا بالإضافة إلى صرفهم كثيراً من العبادات له، وحجهم إلى قبره ﷺ ويزعمون أنه يقضي لهم الحوائج.

المناقشة:

ونحن نهدي إليهم قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾[١]، قال الشيخ سليمان بن عبدالله بعد ذكر شيء من كلامهم في ذلك: وهذا بعينه هو الذي ادعته النصارى في عيسى عليه السلام، إلا أن أولئك أطلقوا عليه اسم إله وهذا لم يطلقه ولكن أتى بلباب دعواهم وخلاصتها وترك الاسم، إذ في الاسم نوع تمييز فرأى الشيطان أن الإتيان بالمعنى دون الاسم أقرب إلى ترويج الباطل وقبوله عند ذوي العقول الضعيفة.

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٥٦، ٥٧.





الباب الثالث

الغلو عند الصوفية في السمعيات

١ - الفصل الأول: وحدة الأديان.

٢ - الفصل الثاني: قولهم بالجبر.

٣ - الفصل الثالث: نفي العذاب يوم القيامة.

٤ - الفصل الرابع: الظاهر والباطن والشريعة والحقيقة.

٥ - الفصل الخامس: سقوط التكليف.

٦ - الفصل السادس: الأوراد والأذكار البدعية.

٧ - الفصل السابع: الذوق الفردي وسيلة المعرفة عندهم.

٨ - الفصل الثامن: الكذب والافتراء عند الصوفية.

٩ - الفصل التاسع: الماسونية والصوفية.



الفصل الأول

وحدة الأديان

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾[١].

ما موقف المتصوفة من ذلك؟

إن قول المتصوفة بوحدة الوجود أوقعهم في الكفر البواح من عدة وجوه منها: قولهم بوحدة الأديان سواء منها ما نسجته عناكب الأوهام وافترته أساطير الخيال، وفارت به الشهوات، أو ما أوحاه الله إلى رسله ولهذا آمن غلاة الصوفية سلفهم وخلفهم بأن الإيمان والتوحيد عين الكفر والشرك، وبأن الإسلام على هداه وقدسه عين المجوسية في ضلاله ورجسه[٢]. يقول ابن عربي:

عقد الخلائق في الإله عقائداً
وأنا اعتقدت جميع ما عقدوه[٣]

ويقول:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي
إذا لم يكن ديني إلى دينه داني

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٢) هذه الصوفية، ت عبدالرحمن الوكيل، ص ٩٣، ط ١٣٧٥.

(٣) شرح الفصوص لعبدالرحمن جامي، شرح الفص اليهودي.

لقـــد صـــار قلبـــي قـــابـــلاً كـــل صـــورة
فمـــرعـــاً الغـــزلان وديـــر لـــرهبـــان
وبيـــت لأوثـــان وكعبـــة طـــائـــف
وألـــواح تـــوراةٍ ومصحـــف قـــرآن
أديـــن بـــديـــن الحـــب أنـــى تـــوجَّهـــت
ركـــائبـــه فـــالـــديـــن دينـــي وإيمـــاني[١]

ويحذر ابن عربي أتباعه أن يؤمنوا بدين خاص، ويكفروا بما سواه فيقول:

فإياك أن تتقيد بعقد مخصوص وتكفر بما سواه فيفوتك خير كثير، بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه، فكن في نفسك هيولي لصور المعتقدات كلها فإن الله تعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عقد دون عقد فالكل مصيب، وكل مصيب مأجور، والكل سعيد وكل سعيد مرضي عنه[٢].

إن قولهم هذا يدل على أنهم منافقون دخلوا في الإسلام ليفسدوه، ويؤيدوا عقائدهم الباطلة من يهودية ونصرانية ومجوسية، فابن عربي قد عاش مع يهود الأندلس ونشأ معهم، والحلاج أصله من مجوس فارس ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقولهم في هذا يخالف قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ

(١) ذخائر الأعلاق، شرح ترجمان الأشواق، لابن عربي ص ٣٩.
(٢) فصوص الحكم بشرح بالي ط ١٣٠٩ ص ١٩١.

﴿وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[١] . ودينهم غير دين محمد ﷺ فإن النبي ﷺ قاتل المشركين واستحل دماءهم وأموالهم حتى يدخلوا الإسلام، فهم على غير دين الإسلام.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.



الفصل الثاني
قولهم بالجبر

قال ابن عربي:

أنـــــا مجبـــــور ولا فعـــــل لي
فـــالـــذي أفعلـــه بـــاضطـــرار
والـــــذي أسنـــد فعلي لـــــه
ليـــس في أفعـــالـــه بـــالخيـــار
أنـــــا إن قلـــت أهـــا قـــالا
وهـــو إن قـــال أنـــا لم يغـــار
فـــأنـــا وهـــو على نقطـــة نبتـــت
ليـــس لهـــا مـــن قـــرار(١)

المناقشة:

إن هذا يخالف الإسلام وأقوال العلماء الموضحة لذلك، منها ما ورد عن بقية بن الوليد قال: سألت الزبيدي والأوزاعي عن الجبر فقال الزبيدي: أمر الله أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ولكن يقضي ويقدر ويخلق ويجبل عبده على ما أحب(٢) .

---

(١) رسائل ابن عربي، الرسالة رقم ٤، ط الهند، ص ١٢.

(٢) فتاوى ابن تيمية رحمه الله، ج ٣ ط ١٣٩٨، ص ٣٢٣.

الفصل الثالث

نفي العذاب يوم القيامة

إن القول بوحدة الأديان ينفي العذاب لأحد، إذ لماذا يعذب من كان مصيباً صعيداً، وأيضاً القول بوحدة الوجود يستلزم حتماً نفي عذاب الآخرة، فرب الصوفية في دينهم، حالٌّ في كل مشرك وكل موحد، ويستحيل أن يعذب الرب نفسه، ولهذا يقول ابن عربي:

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده
وما لوعيد الحق عين تعاين
وإن دخلوا دار الشقا فإنهم
على لذة فيها نعيم مباين
نعيم جنان الخلد فالأمر واحد
وبينهما عند التجلي نباين
يسمى عذاباً من عذوبة طعمه
وذاك له كالقشر والقشر صائن

وهكذا يوغل ابن عربي إيغالاً سحيقاً في الغلو العجيب من التناقض، ويكدح شيطانيته لتبتدع من البدع ما يقضي به على بقية الخير من إيمان المسلمين، لقد قال: بأن الرب عبد، والعبد رب، وأن الإيمان صنو الكفر حقيقة وغاية، فما الذي يمنعه من الإيمان بأن الوعد عين الوعيد، وأن نعيم الجنة وكوثرها عين عذاب السعير

وغسلينها لم يبالِ بشيء، ولم تمنعه عقيدة فصرح بذلك كما ترى، فأي طغيان وقضاء على الدين والأخلاق أشد طغياناً من ذلك، وإذا كان العمل صالح يستوي والعمل الخبيث وإذا كانت الفضيلة عين الرذيلة، وإذا كان الخير قرين الشر فما مصير الإنسانية لو أنها آمنت بهذه الصوفية[1].

(١) عبد الرحمن الوكيل، هذه الصوفية، ص ٩٥.



الفصل الرابع
الظاهر والباطن والشريعة والحقيقة

إن من أصول المتصوفة وقواعد طرقهم تقسيم العلم إلى ظاهر وباطن، والدين الإسلامي إلى شريعة وحقيقة، وأضافوا إلى الدين الإسلامي الطريقة وقالوا: الطريقة هي الوسيلة والثمرة هي الحقيقة، ويقول في هذا ابن عجيبة الصوفي: «وأما واضع هذا العلم - يعني التصوف - فهو النبي ﷺ علمه الله بالوحي والإلهام، فنزل جبريل أولاً بالشريعة فلما تقررت نزل ثانياً بالحقيقة فخص بها بعضاً دون بعض، وأول من تكلم فيه وأظهره سيدنا علي كرم الله وجهه وأخذ عنه الحسن البصري»(١).

مناقشة:

إن هذا الادعاء من القول على الله بلا علم، هو من الكذب والافتراء، فهل المتصوفة أفضل من أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - حيث لم يعلما إلا الشريعة، ثم إن قولهم هذا فيه اتهام للأمين بالكتمان للعلم وهذا يخالف تعاليم الإسلام مثل قول الرسول ﷺ: «**من كتم علماً يعلمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار**» أخرجه أبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم وصححه من طريق أبي هريرة، ويحتجون على هذا الباطل بخرق الخضر عليه السلام للسفينة وقتله للغلام وإقامته الجدار لليتيمين، وإنكار

(١) إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لابن عجيبة ج ١، ط ١٩١٣م، ص ٥.

موسى عليه ذلك بدعوى أن موسى كان من أهل الظاهر فأنكر، والخضر من أهل الباطن فأقر، وما علموا أن الخضر فعل ما فعل بأمر الله ووحيه إليه، بشرع شرعه الله له، وأن موسى أنكر لأن ما فعله الخضر لا يجوز في شريعة موسى، التي تعبده الله تعالى بها، ولهذا لما قال له الخضر إني على علم مما علمني الله وأنت على علم مما علمك الله سكنت نفس موسى، واطمأن إذ كانت الشرائع تتعدد بتعدد الرسل، ولم تجتمع الشرائع إلا في شريعة الإسلام، حيث نسخ الله كل ما سبقها من الشرائع، التي جاءت بها الرسل قبل النبي خاتم الأنبياء محمد ﷺ، وبذلك بطل العمل بغير شريعة الإسلام التي ظاهرها هو باطنها وباطنها هو ظاهرها شريعة واحدة لا ثانية لها ولا ثالثة[1].

---

(١) إلى التصوف يا عباد الله، للشيخ أبي بكر جابر الجزائري، ص ٤٥.

الفصل الخامس
سقوط التكليف

من عقائهم سقوط التكليف ويستدلون بقول الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾[١] ، ويقولون: إذا بلغ الولي عندهم درجة اليقين سقط عنه التكليف، وشاهدناهم عند قبر الحسين وغيره يسرقون الناس ويخدعونهم؛ لأخذ أموالهم ويقولون: إنهم أولياء سقط عنهم التكليف، ومن أمثلة إباحتهم الخمر أنه قرىء على شيخهم الشيخ مكين الدين الأسمر قول القائل:

لو كان لي مسجد بالراح يسعدني
لما انتظرت لشرب الراح إفطارا
الراح شيء عجيب أنت شاربه
فاشرب ولو حملتك الراح أوزارا
يا من يلوم على صهباء صافية
خذ الجنان ودعني أسكن النارا

فقال إنسان هناك لا تجوز قراءة هذه الأبيات، فقال الشيخ مكين الأسمر للقارىء: اقرأ هذا رجل محجوب[٢] . ومن أمثلة إبطالهم الزكاة هذه الفرية منهم على الإمام أحمد، يقول أحمد عياد

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٩.

(٢) انظر صوفيات شيخ الأزهر، ت عبدالله السبت، ط السلفية، الكويت.

من الصوفية في كتابه التصوف الإسلامي : ويروى أن أحمد بن حنبل كان جالساً عند الشافعي فجاء شيبان الراعي فقال أحمد: أريد أن أسأل هذا المشار إليه في هذا الزمان ـ انظر إلى هذا الكلام المتعمق ـ فقال الشافعي: لا تفعل، فقال أحمد: لابد من ذلك، فقال: يا شيبان ما تقول فيمن نسي أربع سجدات من أربع ركعات، فقال: يا أحمد هذا قلب غافل عن الله عز وجل ويجب أن يؤدب حتى لا يعود إلى مثل ذلك ـ انظر إلى هذه الفتوى التي تخالف قول النبي ﷺ عفي لأمتي الخطأ والنسيان ـ فخر أحمد مغشياً عليه ثم أفاق وسأل: وما تقول فيمن له أربعون شاة ما زكاتها؟ فقال: على مذهبنا أو مذهبكم؟ فقال: أوهما مذهبان؟ فقال: أما على مذهبكم فعن الأربعين شاةً شاة، وأما على مذهبنا فالعبد لا يملك مع سيده شيئاً[1] ، إن هذا القول منهم ليس لمجرد الفرية على الإمام أحمد ولكن هدفهم منه أنه ليس على الصوفي زكاة بحجة أن الصوفي وما يملك لسيده!

ومن أمثلة إباحة المحرمات:

ما صوره لنا أحد أتباع ابن الفارض لوناً من ألوان مجون سلطان العاشقين، فيقول: «دفع لي دراهم وقال اشتر لنا بها شيئاً للأكل فاشتريت ومشينا إلى الساحل فنزلنا في مركب حتى طلع البهنسا، فطرق باباً فنزل شخص فقال: باسم الله وطلع الشيخ فطلعت معه وإذا بنسوة بأيديهن الدفوف والشبابات وهن يغنين له فرقص الشيخ إلى أن انتهى وفرغ فنزل وسافرنا حتى جئنا إلى مصر،

(١) التصوف الإسلامي، ت أحمد عياد، ط مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٨١.

فبقي في نفسي شيء، فلما كان في هذه الساعة جاءه الشخص الذي فتح له الباب فقال له: يا سيدي فلانة ماتت ـ وذكر واحدة من أولئك الجواري ـ فقال: اطلبوا الدلال وقال اشتر لي جارية تغني بدلها ثم أمسك أذني فقال: لا تنكر على الفقراء»[١] ، وهذا هو ابن الفارض القديس يرقص ويغني والنسوة يرقصن معه ويضربن له الدفوف ومع هذا يحرم على تابعه أن ينتقده وهكذا أولياؤهم.

وأيضاً من كرامات أوليائهم ما ذكره الشعراني في طبقاته المملوءة بالعظائم قال في ترجمة سيده علي وحيشي: كان الشيخ ـ رضي الله عنه ـ يقيم عندنا في خان بنات الخطا، وكان كل من خرج ـ أي بعد ارتكابه للزنا ـ يقول له قف حتى أشفع فيك قبل أن تخرج، فيشفع فيه، وكان إذا رأى شيخ بلد وغيره ينزله من على حماره، ويقول له: امسك لي رأسها حتى أفعل فيها، فإن أبى شيخ البلد تسمر في الأرض، لا يستطيع يمشي خطوة، وإن سمح حصل له خجل عظيم والناس يمرون عليه[٢] .

ومن أمثلة الصوفية المعاصرة الآتي:

قال الأستاذ التابعي: «إني أعرف شيخ طريقة اختار أحد بارات شارع شريف مقرًّا له، ويقصد إليه في البار المذكور أتباعه ومريدوه، كلما أرادوا مقابلته في أمر ما، ويخرج هو إليهم ويمد يده يلثمونها، ورائحة الخمر تفوح من فمه، وقطرات الخمر على يديه، وبقايا المزة على صدره وذقنه وأكمامه، ويلتفت الشيخ إلى أصدقائه

---

(١) هذه الصوفية نقلاً عن لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، ج ٤، ص ٣١٩.

(٢) طبقات الشعراني، ص ١٣٥.

الجالسين في البار، ويطلق نكتة ما، ويشترك معهم في الضحك من عبط المريدين والأتباع[١].

إن أعمالهم يشمئز منها كل صاحب عقل حتى اليهود والنصارى لم يقولوا بهذا، واستدلالهم بالآية من قبيل التمويه على العامة وإلا فاليقين في الآية هو الموت، كما فسره النبي ﷺ وسلف الأمة - رضي الله عنهم - قال الحسن البصري: إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت، وقرأ قوله: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩﴾.

ولما توفي عثمان بن مظعون وشهدت له بعض النسوة بالجنة، فقال النبي ﷺ: **«وما يدريك إني والله وأنا رسول الله ما أدري ما يفعل بي»** وقال: **«وأما عثمان فقد جاءه اليقين من ربه»** وقد أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بالآتي حين سأل عنهم:

«لا ريب عند أهل العلم والإيمان أن هذا القول من أعظم الكفر وأغلظه، وهو شر من قول اليهود والنصارى، فإن اليهود والنصارى آمنوا ببعض الكتاب، وكفروا ببعض، وأما أولئك فهم الكافرون حقًّا، فمن كان من قوله هو أنه أو طائفة غيره قد خرجت عن كل أمر ونهي؛ بحيث لا يجب عليها شيء، ولا يحرم عليها شيء، فهؤلاء أكفر أهل الأرض، وهم من جنس فرعون وذويه»[٢].

---

(١) عن فضائح الصوفية، انظر مقال الأستاذ/ محمد التابعي، صحيفة الأخبار المصرية في ٢/ ١١/ ١٩٥٥م.

(٢) فتاوى ابن تيمية، ج ١١ ص ٤٠٢.

الفصل السادس

الأوراد والأذكار البدعية

قبل أن نذكر طريقتهم في الأذكار البدعية، نذكر شيئاً من قولهم في مصاحبة الغناء لها وليس العجيب تعاطيهم لهذا المحرم فهو معصية، وإنما العجيب تحليلهم لما علم أنه حرام في الإسلام، من المعازف والموسيقى بل زعمهم أنه عبادة.

قال زكي مبارك في كتابه التصوف الإسلامي: (أما الصوفية فقد أقبلوا على الغناء، ولم يشترطوا إلا حسن النية، وشرف القصد، وتفردت طريقة المولوية باستجازة العزف على الآلات الموسيقية، على اختلاف أنواعها أثناء مجالس الذكر، وكان لهذه الطريقة أشياع في الأقطار الفارسية والتركية، وكان لها في مصر تكية في حي السيوفية بالقاهرة، وكانت لهم حضرة أسبوعية يتشوف إليها المولعون بالموسيقى والغناء) ويقول: (ثم ينفرد رئيس المنشدين بعد الوصول إلى نغمة الرصد، أو إلى النغمة التي ينتهي عندها إنشاد القصيدة بالاستغاثة أغثنا أدركنا يا رسول الله). ويقول: (وقد لاحظت أن مجالس الصوفية كانت تنقلب أحياناً إلى مجالس فنية، فهي مجالسة تعقد ظاهراً لذكر الله، ولكن الغرض منها الغناء) ويقول: (وهناك رأي يقول بأن فواتح السور في القرآن هي علامات موسيقية وقد شرحت هذا الرأي في كتاب النثر الفني ج ١ ص ٤١)[1]، فلو أن قائل هذا القول من اليهود والنصارى لثار

---

(١) كتاب التصوف الإسلامي، د. زكي مبارك، ط ١٣٧٣هـ، ص ٢٦٥.

ضده المسلمون، فكيف ومن ينشره بين المسلمين ويشرحه لهم يدعي الإسلام، ولم يعارض بل يمجد ويكرم، فمنذ مدة أقيم في نادي جدة الأدبي محاضرات كاملة عن زكي مبارك، ونشرت ترجمته في صفحات طوال في أحد الصحف السعودية ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ وذلك أن من في قلوبهم مرض قد نشطوا هذه الأيام، وهم يزعمون أنهم يستغفلون دولتنا الإسلامية التي قامت على أسس التوحيد، وذلك بسبب انشغال العلماء عنهم، وعدم الإنكار عليهم بما يردعهم.

الأوراد الصوفية:

الأوراد جمع ورد، وهو في اللغة مكان الورود أو زمانه أو الماء المورود نفسه.

وفي عرف الشرع ما يأتيه المسلم من نوافل العبادات ويتعاهده طوال حياته.

وفي اصطلاح الصوفية وأصحاب الطرق هو: أحد أصول الطريقة المهمة ذات الخطر والشأن في حياة المريد، وهي عبارة عن أذكار وأدعية يعطيها الشيخ العارف المأذون له أو نائبه عند تعذر لقياه والاتصال به لموته، أو بعد داره، يعطيها للمريد ليصفو عليها باطنه ويصل بها إلى مقام المكاشفة والمشاهدة والغناء في ذات الله تعالى حتى لا يبقى واصل ولا موصول كما قال قائلهم:

فلم يبق إلا الله فلا شيء غيره
فما ثم موصول ولا ثم واصل

وأما الأدعية فأكثرها ينظمونها في شكل حزب فيقال: حزب

الشاذلي، وحزب الحداد، وحزب كذا وكذا ولا تخلو بحال من كلمات الشرك والكفر والابتداع؛ كالتوسل بالأموات والاستغاثة بهم، ودعاء غير الله تعالى، وأما الأذكار فمنها ما هو حق كالتهليل أي ـ لا إله إلا الله ـ ويسمونها ذكر العامة، ومنها ما هو غير مشروع كالذكر باللفظ المفرد نحو الله الله أو: حي حي ويسمونه بذكر الخاصة، ومنها ما هو باطل وضلال كالذكر بلفظ ضمير الغيبة نحو هو هو هو، ويسمونه بذكر خاصة الخاصة، نعوذ بالله من هذا الضلال المبين ونبرأ إلى الله تعالى من هذا الكذب المشين.

الطرق الصوفية:

تعددت الطرق الصوفية في البلاد الإسلامية، وتحاول كل طريقة أن تجذب عدداً كبيراً من الناس للانتساب لهذه الطرق، ويختار أعضاء هذه الطرق من البسطاء السذج محدودي الدخل، قليلو التعلم من الصناع والزراع وأصحاب الحرف البسيطة، لهذا انتشرت هذه الطرق في القرى والمدن الصغيرة، وتقدم المغريات لمنتسبي هذه الفرق، بعدما يأخذ العضو ما يعرف لديهم بالعهد. تقدم للعضو المساعدات العينية كالمواد التموينية، أو الشفاعة له في الحصول على وظيفة، أو إجراء عملية جراحية له أو لبعض أهله في إحدى المستشفيات الحكومية.

تأخذ مظاهر ما يعرف بالحضرة أشكالاً غريبة، ناهيك عن الطبل والغناء، فتقدم الأطعمة منها ما لذ وطاب، ويطلق عليها النفحة، وهي منحة من سيدهم (الوالي) كما توزع الملابس على كل منتسب، ليظهروا في التجمعات والمناسبات التي ابتدعوها، كالمولد

النبوي، ورؤية هلال رمضان وهم بزي موحد، لتظهر كل طريقة على الطرق الأخرى، ومن هذه الطرق الصوفية:

١ - الحامدية الشاذلية: نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي، وتعرف في مصر وتونس.

٢ - الدسوقية: نسبة إلى إبراهيم الدسوقي وتنتشر في مصر خاصة مدينة دسوق.

٣ - النقشبندية: نسبة إلى بهاء الدين بن محمد الملقب بشاه نقشبند.

٤ - الأكبرية: نسبة إلى محي الدين بن عربي.

٥ - البكداشية: وقد ساعد على انتشارها الأتراك، واستقرت في ألبانيا، وتميل إلى التصوف الشيعي.

٦ - المولوية: وأسسها الشاعر جلال الدين الرومي، وتعرف في تركيا وبعض المدن السورية.

٧ - الأحمدية: نسبة إلى أحمد البدوي الذي استقر به المقام في مدينة طنطا بمصر، ولها أتباع كثيرون يعرفون بالأحمدية.

٨ - الرفاعية: نسبة إلى أحمد الرفاعي المدفون في مصر، وعلى الرغم من شجاعة الرجل في حياته، إلا أن أتباعه قد ضيعوا معالم هذه الشجاعة بما يبتدعونه من مظاهرات يحملون فيها الحراب والسيوف، ويعلقون حول رقابهم الأفاعي والثعابين ليظهروا سيطرتهم على هذه الزواحف.

٩ - القادرية: وتنسب إلى عبدالقادر الجيلاني الذي انتهى به المطاف بالعراق، ودفن في بغداد، وتجتمع عليه طوائف تنتسب إلى السنية والشيعية في آن واحد.

مناقشة:

هذا ويأتي الخطأ في الأذكار الصوفية في صور منها:

١ ـ تحديد الأوراد في كميتها وكيفيتها وأوقاتها، وأعني بكميتها أعدادها فإن كان الشارع قد أطلق لفظ الذكر، ولم يحدده بكمية وعدد معين، فلا يصح تحديده ولا تعيينه، ومن حدد أو عين فقد ابتدع، والبدعة ضلالة، وأعني بالكيفية أن يؤتى بالذكر في جماعة وبصوت واحد وهي كيفية مخالفة لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، حال الذكر كما أعني بالأوقات تعيين وقت معين لا يؤتى به إلا فيه، ولم يرد الشرع به.

٢ ـ وضع صيغ وألفاظ لم ترد عن النبي ﷺ ويقدمونها على ما يثبت في القرآن والسنة، ومن المعلوم في الشريعة بالضرورة أن أي عبادة لم ترد عن الشارع فهي باطلة لأنه تشريع زائد.

٣ ـ الاجتماع عليه ورفع الأصوات به وإحداث حركات منكرة؛ كالتمايل والقفز والرقص والتصفيق.

٤ ـ مصاحبة الذكر بالعزف والتصفيق وهو ما يسمى بالمدائح والقصائد، فهذه لا تعذب لهم ولا تطيب إلا على أنغام المرد، وأصوات المعازف والدفوف.

٥ ـ وضع أجور معينة ومحددة على كل نوع من الذكر، بأن يقال من قال كذا فله أجر كذا من غير أن يرد عن الشارع، وعلى سبيل المثال قول الشيخ التيجاني في صلاة الفاتح: وأنها تعدل كذا ولقائلها من الأجر كذا.

ولنستمع إليه في كتاب الرماح وهو

يقول[١] : وأما صلاة الفاتح لما أغلق، فإني سألته ﷺ عنها فأخبرني أولاً: أنها بستمائة ألف صلاة، فقلت له: هل في جميع تلك الصلوات أجر من صلى بستمائة ألف صلاة مفردة، فقال ﷺ نعم يحصل في كل منها أجر من صلى بستمائة ألف صلاة مفردة.

وخلاصة القول أن أوراد الصوفية من أذكار وصلوات وأدعية ومدائح وقصائد شعرية، لا تخلوا أبداً من الكذب وألفاظ الشرك ومعتقداته، ولا يفارقها الابتداع في ألفاظها وأعدادها، وأوقاتها وأكثرها ما وضع إلا لضرب أمة الإسلام بتمزيق شملها، وتفتيت قوتها، وإدخال الزيغ والضلال في معتقداتها، والبدع في عباراتها، حتى لا تقوم لها قائمة، ولا تزكو لها نفس، ولا تقبل لها دعوة والعياذ بالله[٢] .

---

(١) انظر الرماح، ج ٢، ص ٦٩.

(٢) إلى التصوف يا عباد الله للجزائري، ص ٣١.

الفصل السابع
الذوق الفردي وسيلة المعرفة عندهم

ويدين الصوفية ببهتان عظيم، يدمغها بالمروق عن الإسلام، ذلك هو اعتقادهم أن الذوق الفردي ـ لا الشرع ولا العقل ـ هو وحده وسيلة المعرفة، ومصدرها معرفة الله وصفاته وما يجب له، فهو أي الذوق الذي يقوم حقائق الأشياء، ويحكم عليها بالخير أو الشر، بالحسن أو القبح، بأنها حق أو باطل، فلا جرم أن تدين الصوفية بعدد عديد من أرباب وآلهة، ولا عجب أن ترى النحلة منها تعبد وثناً بغير ما تعبده به أخرى، أو تخنع لصنم يكفر به سواها من النحل الصوفية، ولا عجب من ذلك كله مادامت تجعل الذوق الفردي حاكماً، وقيماً على المسميات وأسمائها، فتضع للشيء معناه مرة، ثم ينسخه بنقيضه مرة أخرى، وهذا يجعلهم في تناقض عجيب دائماً في منطقها المختل، ولقد ضربت الصوفية أهواء أحبارها بالحيرة والفرقة، فحالوا طرائق قدداً تؤوله كل طريقة منها بما ارتضاه كاهنها صنماً له، وتعبده بما يفتريه هواه من خرافات، على حين يجمعها على الوحدة هوى واحد وغاية واحدة هي القضاء على الإسلام والجماعة الإسلامية[1].

وتنكر الصوفية على العقل أنه وسيلة المعرفة، ويرهقها حنقاً منه أن يحكم العقل بالمغايرة بين الضدين، أو بين النقيضين، وتنكر

(١) عبدالرحمن الوكيل، هذه الصوفية، ص ٢٢.

على الشرع تفرقته بين الإيمان والكفر، والخير والشر، إذ لا تؤمن بغير (الذوق) سماء وحي وقدس إلهام، ولهذا كان من اصطلاحاتهم المشهورة (من ذاق عرف) أي من جعل الذوق وحده الوسيلة إلى المعرفة، كان حقًّا من العارفين بكنه الحقائق الربانية، أن قولهم هذا من أكبر ما أوقعهم في الضلال، وهو مخالف للإسلام في أصله وفرعه، وذلك أن المعتزلة لما قالوا بتحكيم عقولهم في الدين ضلوا؛ بسبب قصور العقل البشري عن إدراك جميع الأشياء، فكيف بمن حكم هواه في دين الله، فتجد أحدهم يقول: حدثني قلبي عن ربي، ثم يفسرون القرآن بموجب أذواقهم وأهوائهم، وفي من اتبع ذوقه وهواه وجعله ديناً له قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة القصص، الآية: ٥٠.

الفصل الثامن

الكذب والافتراء عند الصوفية

لقد رأيت أن أدخل هذا الفصل لما رأيته من افترائهم على الله وعلى رسوله وعلى علماء المسلمين، ثم كرامات أوليائهم المكذوبة.

فمن افترائهم على الله تحريفهم كلام الله عن مواضعه، مثل قولهم في قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾[1] فقالوا: إن اليقين رفع التكليف.

ومثل قول بعضهم في قوله تعالى: ﴿يهب لمن يشاء إناثاً﴾ قال الحسنات ﴿ويهب لمن يشاء الذكور﴾ العلوم ﴿أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً﴾ علوم وحسنات ﴿ويجعل من يشاء عقيماً﴾ لا علم ولا حسنة ويقول أيضاً وهو شيخ الأزهر السابق، بل شيخ الصوفية عبدالحليم محمود: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾[2] بقرة كل إنسان نفسه والله أمرك بذبحها[3]، بل وأعظم من ذلك أنهم يعيبون علينا أخذ الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة، ويدعوننا إلى أهوائهم ودينهم، يقولون أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، ويقول ابن عربي: علماء الرسول

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٦٧.

(٣) صوفيات شيخ الأزهر، عبدالله السبت، ص ٦٠.

يأخذون خلف عن سلف إلى يوم القيامة فيبعد النسب، والأولياء يأخذون عن الله إلقاء في صدروهم من لدنه رحمة وعناية سيقت لهم، لو قال يأخذون عن الشيطان لكان صدق.

وأما كذبهم على النبي ﷺ فالزور المبين، ومن ذلك زعمهم أن النبي ﷺ حضر ذكرهم وأنشد منشد:

لقد لسعت حية الهوا كبدي
فلا طبيب لها ولا راقي
إلا الحبيب الذي شغفت به
فعنده رقيتي وترياقي

وأن النبي ﷺ تواجد حتى سقطت البردة عن منكبه، بل يفترون أكثر من ذلك، فيزعمون أنه مزق ثوبه، وأن جبريل أخذ قطعة منه فعلقها على العرش[١]، وهذا دجال زمانه التيجاني يزعم أنه رأى النبي ﷺ في اليقظة وبينهما أكثر من ألف سنة، في كتاب الرماح[٢] ويقول: وأما صلاة الفاتح لما أغلق فإني سألته ﷺ عنها فأخبرني أولاً أنها بستمائة ألف صلاة، فقلت له: هل في جميع تلك الصلوات أجر من صلى بستمائة ألف صلاة مفردة؟ فقال ﷺ: نعم يحصل في كل منها أجر من صلى بستمائة ألف صلاة مفردة... إلخ الكذب، هذا في غير الياقوتة الفريدة، أما فيها فإنه يخلق في كل مرة ستمائة ألف طائر على الصفة المذكورة ـ أي بألسن كثيرة فوق الخيال ـ ثم قال ـ رضي الله عنه وأرضاه وعنا به ـ! ثم سألته عن

---

(١) فتاوى ابن تيمية ج ١١، ص ١٦٨.

(٢) الرماح، ج ٢، ص ٦٩.

حديث أن الصلاة عليه تعدل ثواب أربعمائة غزوة، وكل غزوة تعدل أربعمائة حجة، هل صحيح أم لا؟ فقال ﷺ: صحيح... إلخ الافتراء. وكذبهم على الأئمة أكثر من ذلك، كذبوا على الإمام أحمد ومالك وغيرهم، وفي أوليائهم وكراماتهم فهذا الرفاعي أخرج له النبي ﷺ يده في القبر وقبلها الرفاعي، وهذا الشعراني يذكر أن البدوي في عيد مولده يكشف القبر عن وجهه ويقول: ما جاء عبدالوهاب ـ يعني الشعراني ـ أمام الملأ يكررها.

أخي المسلم البصير: هل يسرك الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ؟ هل الذي يفتري الكذب على الله وعلى رسوله والمؤمنين يعد من الأولياء؟ هل حقًّا أن الشيخ أحمد التيجاني يخرج له رسول الله ﷺ يقظة ويشافهه ويسأله ويجيبه كما يزعم.

إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾(١).

والرسول ﷺ يقول: «**من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**». رواه الشيخان، أرأيت أخي المسلم كيف يبني الطرقيون طرقهم على الكذب، تغريراً بالمسلمين وتضليلاً لهم، إن الطريقة التيجانية تعتبر من أكبر الطرق الصوفية، وأوسعها انتشاراً، فإن أتباعها ينتشرون من نيجيريا جنوباً إلى تركيا شمالاً، ومع هذا فقد رأيت كيف قامت هذه الطريقة على الكذب الذي لا يصدق، والباطل الذي لا يصح ولا يقبل، ومن أمثلة طرقهم في العصر الحديث ما يسمى بالأحباش، فقد خرج رجل من يهود فلاشا

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٥.



بالحبشة ويسمى بعبدالله الحبشي وزرعته الموساد اليهودية في أرض لبنان ودعمهم أذناب اليهود، وزعم أنه صوفي وأسس طريقة أسماها «طائفة الأحباش»، وأصبح يغري أصحابه بتحليل الربا والزنا والسرقة، وأغراهم بالمال، وقد ساعدته الدول الغربية فأنشأ له عدة مراكز في أوروبا وأمريكا وأستراليا، واتبعه كثير من الغوغاء اتباع كل ناعق الذين باعوا دينهم بعرض من الدنيا، وعلى مثلها فقس سائر الطرق الصوفية، ومشايخ التصوف، وأبرأ إلى الله تعالى منها وأسأله أن يقينا والمسلمين شر فتنتهم[١] .

---

(١) انظر: إلى التصوف يا عباد الله، للشيخ أبي بكر الجزائري.

الفصل التاسع
الماسونية والصوفية

إن التصوف أول ما أنشىء كان لهدف الزهد في الدنيا وترجيح جانب العبادة، وكان لا يبتعد عن الكتاب والسنة كما قال الجنيد رحمه الله.

إلا أن طريقتهم في الزهد والدروشة والبساطة جعلت من السهل على منافقي اليهود أن يدخلوها ويقودوها وينحرفوا بها من الإسلام إلى الكفر.

جاء في كتاب بروتوكولات حكماء صهيون: (لا تكذبوا نصوص الجويم (الحيوانات) بل أولوها تأويلاً يبطل مفعولها)[1].

إن القارىء في كتاب فصوص الحكم لابن عربي يجده قد نفذ هذا الحكم على القرآن الكريم فقد أوله تأويلاً يبطل مفعوله بل ضد معناه الحقيقي بل إن جميع معتقداته مثل وحدة الوجود ووحدة الأديان عقائد يهودية ماسونية صرفة، ثم إن ابن عربي قد سلك نفس مسلك ابن ديصان حيث خرج من الأندلس البلد المليء باليهود الذين هاجروا فيما بعد إلى تركيا (الدونمة) وكما انتسب ابن ديصان إلى الفاطميين انتسب ابن عربي إلى العرب وتسمى بابن عربي ثم دعا الناس إلى عقائده اليهودية وتبعه كثير من الصوفية ولازال بعض غلاة الصوفية يعتقد بوحدة الوجود وبالظاهر والباطن وبوحدة الأديان.

---

(١) انظر كتاب برتوكولات حكماء صهيون، لمحمد خليفة التونسي.

اليهود يرون إيليا لم يمت وتبعهم في ذلك الصوفية وقالوا إن الخضر لم يمت، قال الشيخ محمد الزعبي: كثيراً ما حضرت حلقات أذكار يقيمها المساكين المغرورون ويخالونها عبادة وهي في الواقع ملتقية مع الماسونية بمصدرها الأول، حضر بعض إخواني تكريس (تخليف) صوفية يرأسها الشيخ محمد قدور شيخ طريقة صوفية بمزة دمشق مساء الخميس الأول من شهر نيسان ١٩٦٩م فشاهد الماسونية بأسلوب ثان.

١ ـ جرح الشيخ يد التلميذين اللذين تقدما للتركيس ليضم دم أحدهم لدم الآخر تحقيقاً للأخوة وهذا مأخوذ من جرح الطالب الماسوني ليوقع بدمه.

٢ ـ لف الشيخ على رقبة تلميذه حبلاً وهذه لاتزال في المحافل الماسونية.

٣ ـ جلس التلميذ بين يدي الشيخ للقسم كما يجلس الماسوني بالمحفل وراء المذبح.

٤ ـ طيف بالتلميذ بعد التخليف وقيل: من يشتري العبد الذليل وكلما مر بشخص قال اشتريته وأعتقته بقراءة الفاتحة وهذه تشبه كلمة (مريا صحيح النسب التي نراها بالمحفل).

٥ ـ أوصى الشيخ تلميذه بالكتمان والطاعة العمياء وعانقه وقبله وهذا ما نراه بالمحفل.

٦ ـ قبل التلميذ أيادي إخوانه وهذه ذات صلة بما نراه بالمحفل حين انعقاد حلقة الأسباط[1].

---

(١) الماسونية في العراء ٣٠٥.

وجاء في وثيقة سرية رفعها سفير بريطانيا في القسطنطينية إلى وزير خارجيته سنة ١٩١٠م جاء فيها: (أظهر أبناء طائفة البكتاشية[١] المنشقون عن أهل السنة والجماعة والذين يبلغ عددهم مليون شخص يسكن معظمهم في جنوب ألبانيا ومقدونيا ويمارسون طقوساً دينية سرية تشبه طقوس الماسونية ولهم تنظيم يشبه تنظيمها، أظهروا رغبتهم في الانتماء إلى الماسونية وكان هؤلاء البكتاشيون مدفوعين بروح الماسونية الحقة).

ذكر الباحثون أن الشيوعية غرسة من غرس الماسونية الخبيثة لكن هل هناك علاقة بين الشيوعية والصوفية؟

يقول ماركس: (لا إله والكون مادة).

وقال الصوفية: ليس هناك خالق ومخلوق بل الكل واحد وممن قال به ابن عطاءالله السكندري صاحب كتاب «لطائف المنن» الذي حققه شيخ الصوفية في زمانه عبدالحليم محمود وأهدى نسخة منه إلى أحد الماركسيين المصريين ونص الإهداء:

(إلى الأستاذ النابه خالد محي الدين الذي جمع في شخصه بين الإسلام والماركسية والصوفية بوجه خاص مع بالغ تقديري).

ونشر نص الإهداء مع صورة زنكوغرافية لغلاف الكتاب والإهداء المكتوب بخط عبدالحليم محمود في مجلة روزاليوسف في ١٠/ ١١/ ١٩٩٥م ونحن نسأل هل تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم

---

(١) البكتاشية فرقة صوفية تنتسب إلى محمد بن إبراهيم أتا الشهير بالحاج بكتاش المتوفى عام ١٣٣٦هـ وهو ولي تركي من أتباع أحمد اليسوعي قدم إلى الأناضول من خراسان وشرع في الدعوة لطريقته التي هي خليط من الطرق التي تقدمتها القلندرية واليسوعية والحيدرية ومعظم سلاطين آل عثمان يتبعون هذه الطريقة. من سعدي والسقا.

الآخر يوادون من حاد الله ورسوله؟

إن هذا دليل على وحدة الصلة بين الماركسية والصوفية، والإسلام منهما براء.

وفي نفس العدد من المجلة يقول خالد محي الدين أنه تتلمذ على يد الشيخ الصوفي علي السماك وأنه نصحه مع علمه بماركستيه قائلاً: (استمر في طريقك فإن الاستعمار هو عدو المسلمين) فهذا الصوفي لم ينصحه بالرجوع إلى الإسلام بل نصحه أن يستمر في طريقه[١] . ولولا خشية الإطالة لذكرت فرحة الصوفية لما سقطت بغداد في يد التتار ولذكرت تعاون الصوفية وخدمتهم للمستعمرين كما فعل التيجانية مع الاستعمار الفرنسي[٢] وغيره، وفي هذا كفاية وتنبيه لمن خدعوا بالصوفية ومشايخها.

---

(١) ظلمات الماركسية وضياء الإسلام، لمصطفى درويش ص ٥٠.

(٢) انظر كتاب الفكر الصوفي للدكتور عبدالرحمن عبدالخالق.

خاتمة

الحمد لله الذي وفق المسلمين للطريق القويم، ونهاهم عن الغلو في الدين، وحذرهم من الغالين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾(١)، والآيات في النهي عن الغلو كثيرة منها قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢﴾(٣)، وقال تعالى متوعداً بالغضب: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ٨١﴾(٤).

وفي السنة أحاديث كثيرة جداً تنهى عن الغلو منها حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**» رواه النسائي، وحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد، فقولوا عبدالله ورسوله**» أخرجه البخاري ومسلم، ولمسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثاً، وفي الصحيحين

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٧١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٧.

(٣) سورة هود، الآية: ١١٢.

(٤) سورة طه، الآية: ٨١.

عن عائشة رضي الله عنها: أن أناساً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج رسول الله ﷺ عن عمله في السر فقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «**ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا، لكني أصوم وأفطر، وأنام وأقوم، وآكل اللحم، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**». ومن الآثار الواردة في ذلك: «**سددوا وقاربوا واستعينوا بالغدوة وشيء من الدلجة فما يشاد الدين أحد إلا شاده**».

ومنهج أهل السنة في ذلك وسط بين الغالي والجافي، ففي العبادة لا يغالون بالوصال في الصيام والصلاة وتعذيب النفس والتعبد بغير ما شرع، ولا يجفون بزعم رفع التكليف وسقوط الأمر والنهي، وفي النبي ﷺ لا يغالون فيه بدعوته مع الله وصرف العبادة الواجبة لله له، ولا يجفون فيه بتفضيل الولي على النبي وترك اتباع شرع النبي واتباع الهوى والذوق الفردي، وفي الأولياء كذلك وفي الشيوخ وأولياء الأمر لا يغالون فيهم بطاعتهم فيما حرم الله، وأن يكون المريد عند شيخه كالمغسل عنده الميت، ولا يجفون فيهم، وهكذا نهج أهل السنة جعلهم الله وسطاً في كل الأمور كما هو طريقة أهل الإسلام.

ومن أهم نتائج هذا البحث:

١ ـ إن من غلا في شيء فلابد أن يفرط في شيء وهذه سنة الله في الحياة، فمن غلا في جانب من العبادة فلابد أن يفرط في جانب آخر وهكذا العقيدة.

٢ ـ أن التصوف أوله بدعة وآخره كفر بواح، وذلك أن التحيز عن المسلمين والتسمي بصوفي أمر مبتدع لم يكن في عهد النبي ﷺ وأصحابه، وكذلك التخصص بلبس الصوف والصعق عند السماع والتغيير، ثم تطور الأمر إلى الكفر والإلحاد، والقول بوحدة الوجود، واتخاذ البشر أرباباً من دون الله.

٣ ـ أن المتصوفة ثلاثة أقسام:

أ ـ قسم دخل في الإسلام ظاهراً وتصوف ودعا إلى الإلحاد وغرضه الحقد على الإسلام وإضلال المسلمين.

ب ـ قسم دخل في التصوف وهو يعلم أنه على ضلال ولكن سار في التصوف طلباً للرئاسة وأكلاً لأموال الناس بالباطل وهذا أخف من الأول بكثير.

ج ـ قسم دخل في التصوف وهو لا يعلم أنه على باطل وهذا مسؤولية المسلمين إرشاده وإنقاذه من الضلالة.

٤ ـ إنه ينبغي على المسلم الطالب للحق ترك التصوف إذا علم أنه بدعة في الإسلام، وإذا كان لفظ التصوف يجمعه بالملاحدة كابن عربي وابن سبعين وغيره.

٥ ـ إن التصوف أخطر على المسلمين من القنابل والأسلحة الفتاكة وذلك أن قتلى القنابل والحروب الطاحنة يحصرهم عدد مهما كان، وإذا قتل المسلم يموت على الإسلام وربما أنه شهيداً، وأما الصوفية فقد أخرجت من الإسلام والسنة أعداداً لا حصر لها وماتوا على الصوفية ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ.

٦ ـ إن خطر التصوف على المسلمين عظيم خاصة إذا علمنا أن

دعاة الصوفية يخططون لصد المسلمين عن الحق عن طريق وسائل الإعلام، والتغلغل في الجامعات لغرض إضلال شباب المسلمين كما فعلوا في الأزهر خاصة وأنهم يتخصصون في تدريس العقيدة والفلسفة.

٧ ـ إن الصوفية أخطر على المسلمين من اليهود والنصارى في العقائد وذلك أنه لو أتى للمسلم يهودي أو نصراني فيدعيانه إلى دينهما فإن المسلم يحذر منهما ولو أتاه صوفي من أهل وحدة الوجود ويدعوه إلى التصوف فربما اتبعه لما يرى أن ظاهره الإسلام ولما يزعمه الصوفي أن هذا هو الإسلام.

٨ ـ إن خطرهم على هذه البلاد شديد وذلك لما يخططونه لها من شتى المكائد من نشر الكتب الضالة والمقالات الداعية إلى ذلك.

٩ ـ إن الصوفية لا أمان لهم فهم يتحالفون مع اليهود والنصارى ضد أهل الإسلام كما فعلوا في الجزائر حين قاتل شيخ التيجانية مع الفرنسيين ضد عبدالقادر الجزائري، وهذا شيخ مشايخ الطرق لصوفية في مصر عضو في إحدى الأحزاب العلمانية.

وهذا غيض من فيض فعندهم من العظائم ما الله به عليم، هذا وإني في كتابي هذا قد ذكرت جزءاً بسيطاً من غلوهم وأغلب ما ذكرت من غلوهم كفر صريح.

وإتماماً للفائدة هذا بحث علمي مفيد لفضيلة الدكتور/ سعد بن ناصر الشثري عن (آراء الصوفية في أركان الإيمان) وأسأل الله أن ينفع به ويجزي مؤلفه خير الجزاء.

وفي الختام أسأل الله سبحانه أن يجعل عملي خالصاً لوجهه

الكريم، وأن يتقبل منا ومن المسلمين صالح القول والعمل، وأن يهدينا ويهدي ضال المسلمين ويكفينا شر الحاقدين، ويعز الإسلام والمسلمين، إنه جواد كريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.



آراء الصوفية في أركان الإيمان

إعداد الدكتور
سعد بن ناصر بن عبدالعزيز الشثري
عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بالرياض



[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد:

فإن من أشهر الفرق، فرقة الصوفية، ومن هنا فإنه يحسن دراسة فكر هذه الطائفة ومعتقداتها على ضوء الكتاب والسنة ومن هنا كان هذا الحديث عن (**آراء الصوفية في أركان الإيمان**) وقبل أن ندخل في هذا الموضوع أحب أن أتحدث عن مسألتين مهمتين أولاهما: هل الصوفية لها وجود اليوم؟ أو أنها قد اندثرت ولم يعد لها وجود؟ والمسألة الثانية: ما منشأ التصوف؟ وما هي أبرز معالم منهج المتصوفة؟

والجواب: أن هناك فرقاً عديدة اليوم تنتسب للتصوف وتدعو إليه، مثل فرقة الشاذلية في مصر، وسوريا، وليبيا، والسودان، والمغرب، وفرقة التيجانية في المغرب، والسنغال، ونيجريا، والسودان، بل إن بعض الباحثين يرى أن عدد التيجانيين في نيجيريا وحدها يزيد على عشرة ملايين نسمة، ومن فرق الصوفية الطريقة الختمية في السودان، وفرقة البريلوية في الهند، وباكستان، وبنجلاديش، وسريلانكا، ومن تلك الفرق: النقشبندية، والمولوية، والقادرية، والرفاعية، والكتانية، والأحمدية الإدريسية، وهناك جماعات أخرى تأثرت بالصوفية وأخذت بعض معتقداتها مثل: الديوبندية في شبه القارة الهندية، والنورسية في تركيا، وغير ذلك من الطوائف والفرق، فظهر بذلك أن دراسة هذا

الموضوع ليس إحياء لما اندثر بل هو دراسة لواقعنا المعاصر.

وأول مبدأ الصوفية كان قائماً على الزهد والتفرغ للعبادة وترك مظاهر الترف التي انتشرت في المجتمع الإسلامي ولبس الصوف الخشن دلالة على ذلك، مما جعلهم يحرصون على العمل في العبادة ويبتعدون عن العلم مما أنتج سهولة دخول المعتقدات المختلفة عندهم بسبب عدم وجود علم يحميهم من ذلك.

وبالنسبة لتاريخ التصوف فقد وجدت مبادئه في عصر الصحابة، فأنكر الصحابة رضوان الله عليهم هذه المظاهر، فقد أنكر عمر على من يتفرغ للعبادة ويترك التكسب لنفسه ولعياله، وأنكر ابن مسعود على من يجتمعون في المسجد فيذكرون الله ذكراً جماعيًا في الكوفة، وأنكر على من اتخذ دوراً للعبادة في بعض الجبال، فبدأت مظاهر التصوف ببدع صغيرة ثم مع مرور الزمن تطور ذلك فحدثت لديهم أمور عظام مخالفة للشريعة، والصوفية طوائف مختلفة وفرق متعددة، يقع بينهم الاختلاف والشقاق، وبينهم منافسات، ويتحدث بعضهم بالقدح في بعضهم الآخر، وليسوا على مستوى واحد من التصوف والابتداع، وعندما أتكلم عن شيء من آراء الصوفية في أبواب الإيمان ليس معناه أن هذا الرأي موجود لدى جميعهم، وكذلك فإنه في عصرنا الحاضر وبعد انتشار وسائل الاتصال والمواصلات وجدت أن الكثير من المتصوفة بدءوا يتخلون عن بعض الأفكار الصوفية السابقة لما رأوا الأدلة صريحة في رد بعض معتقداتهم وبدعهم، وليس مرادي بهذا الحديث القدح المجرد في الأشخاص وإنما أقصد التقرب لله عز وجل بمقارنة بعض

اعتقادات المتصوفة بالقرآن والسنة رغبة في النصحية وأملاً في النجاة لي ولهم يوم لقاء رب العالمين.

وسأقسم حديثي عن هذا الموضوع بحسب أركان الإيمان، كما ورد في الصحيح بيان هذه الأركان لما سئل النبي ﷺ عن الإيمان قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره**». أخرجه مسلم بلفظه والبخاري بمعناه.

الركن الأول: الإيمان بالله

دلت النصوص الشرعية على وجوب الإيمان بالله تعالى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ﴾ الآية، وعند استقراء النصوص الشرعية يمكن تقسيم ما يتعلق منها بالإيمان بالله إلى ثلاثة أقسام: الإيمان بأفعال الله تعالى فهو الرازق الخالق المدبر، وهذا توحيد الربوبية، والقسم الثاني: الإيمان بما يجب علينا في حق الله تعالى من إفراده بالعبادة، وهذا توحيد الألوهية والعبادة. والقسم الثالث: الإيمان بأسماء الله وصفاته، فنصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾. فقوله: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ هذا توحيد الربوبية، وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾. هذا توحيد الألوهية، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ هذا توحيد الأسماء والصفات.

أولاً: آراء الصوفية في توحيد الربوبية:

تواترت النصوص الشرعية بأن الله فعّال لما يريد، لا راد لما قضى ولا معقب لحكمه، ولا يقع شيء في أي مكان إلا ما قدره وخلقه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾، وقال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ

ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾. ومن العجب أن تدعي طائفة من الصوفية أن الأولياء يتصرفون في الكون فينفعون من شاءوا ويضرون من أرادوا، حتى زعموا أن الأرزاق بأيديهم وأن هبة الأولاد من طريقهم، فجعلوا لأولياءهم بعض ما يختص الله به من الأفعال، وجعلوا لأوليائهم أنداداً لله يساوونه في الخلق والإيجاد والرزق، ولا شك أن هذا اعتقاد باطل، ومن هنا خاطب رب العالمين سبحانه نبيه محمداً ﷺ مع رفعة منزلته وعلو مكانته فقال له: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾. فالله هو الخالق وحده يرزق من يشاء ويمنع من يشاء، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾. وقال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ بمعنى أنه لا يوجد أحد يفعل ذلك إلا رب العالمين، فالتصرف في الكون والإحياء والإماتة وجلب الأرزاق راجعة إلى الله تعالى، أما الأولياء والأنبياء فإنهم مهما بلغت منزلتهم لا يتصرفون في الكون ولا يفعلون أي فعل إلا بإذن الله وأمره، فالأرزاق بيد الله سبحانه وحده، قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ﴾. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ

ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾. وقال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾. وإنزال الأمطار وإنبات النبات هذا من رب العالمين وحده، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ﴾، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾، ومن هنا نعلم خطأ كثير من الصوفية في وصفهم أحد الأولياء بأنه القطب الذي تدور عليه رحى الدنيا أو الغوث الذي يغيث العباد؛ لأن هذا تجن على مقام الربوبية ويناقض العديد من نصوص القرآن والسنة، التي تبين اختصاص الله تعالى بتدبير الكون والتصرف فيه، وقد سبق إيراد نماذج منها.

ومن صور مناقضة بعض الصوفية لتوحيد الربوبية زعمه أن بعض الأولياء يعلم الغيب، فأين هؤلاء من قول الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ﴾، وقال سبحانه: ﴿قُل

﴿لَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾، فعلم الغيب مما اختص به رب العالمين، قال تعالى: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾. وقال جل وعلا: ﴿فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٢٠﴾. وقال: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٢٣﴾. وقال سبحانه: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ بل زعموا أنهم يتصرفون في المقادير ويتمكنون من تغيير بعض ما في اللوح المحفوظ فما أعظم مصادمة هذه الدعوة الكاذبة لقول الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾. وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**قدر الله تعالى مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**». وفي السنن بإسناد جيد: «**أن أول ما خلق الله تعالى القلم، قال له اكتب، قال: يا رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**».

فالمقصود أن النفع والضر بيد الله وحده، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧﴾، وروى الترمذي بسند صحيح: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت**

الأقلام وجفت الصحف».

ومن أعظم أخطاء الصوفية في باب الربوبية اعتقاد وحدة الوجود بالاعتقاد بأنه ليس هناك موجود إلا الله فلا يوجد غير الله في الكون، وهذه المظاهر التي نشاهدها هي صور لتجليات الله، فجميع الموجودات هي رب العالمين، ولم أكن أتوقع أن يقول أحد بمثل هذه المقالة الكفرية التي تجعل الكفار والقاذورات صوراً لله تعالى، لأن الله عندهم هو الوجود المطلق، أقول: لم أكن أتصور أن يقول بذلك في زمننا عاقل يعظم الشرائع حتى وجدته منصوصاً في كتب بعض المتصوفة المعاصرين، وقد جرى بيني وبين بعضهم نقاش في ذلك، ومجرد تصور هذا القول يكفي في معرفة بطلانه ويلزم عليه صدق فرعون لما قال: أنا ربكم الأعلى، وعدم تكفير من قال بأن الله هو المسيح ابن مريم، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ﴾ فكيف بمن قال هو الوجود كله.

ثانياً: آراء الصوفية في توحيد الألوهية:

يراد بتوحيد الألوهية صرف العبادة لله وحده وعدم فعل أي عبادة لغير الله، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ﴾. وقال: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾، ولذلك كان الأنبياء عليهم السلام يقولون لأقوامهم: ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ ﴿ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾.

ومن آراء الصوفية في باب توحيد الألوهية، صرف عبادة الدعاء لغير الله فنجد أحدهم يقول: يا رسول الله أغثني، يا مهدي أدركني، يا بدوي اقض حاجتي، وهكذا، ودعاء غير الله من

المحرمات، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ والدليل على أن الدعاء عبادة قوله تعالى: ﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾، فجعل الدعاء من الدين ويدل على ذلك قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية، فانظر كيف عبر بالعبادة عن الدعاء؛ لأن الدعاء عبادة، وقد حكم الله عز وجل في كتابه بأ ن من دعا غير الله فإنه كافر لا يفلح، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾. وقد يقول قائل بأن دعاءهم مجرب في قضاء الحوائج وتفريج الكربات، وكم من الحكايات التي تحكى في ذلك، والجواب عن هذا بأن ذلك على فرض حصوله ليس بسبب الدعاء وإنما وافق قضاء الله تعالى، فإن الله قد حكم بأن من دعا غير الله فإن المدعو لا يستجيب له، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ ﴾. وقال سبحانه: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾. وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾، والمسلم يتوجه بدعائه لله عز وجل مباشرة ولا يحتاج في ذلك إلى واسطة، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

ومما يدل على أن دعاء غير الله من الشرك والكفر قوله تعالى عن الملائكة: ﴿ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾. وقال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ ﴾. وقال سبحانه: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾. وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾. وفي صحيح البخاري يقول النبي ﷺ: «**من مات وهو يدعو من دون الله ندًا دخل النار**». والنصوص في ذلك كثيرة متعددة.

ومن الشرك أيضاً صرف عبادة الذبح لغير الله من الأولياء ونحوهم، قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ ﴾. وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**لعن الله من ذبح لغير الله**». ومن الشرك صرف عبادة النذر لغير الله أو التوكل أو الرجاء أو الخوف أو الاستغاثة، فإن هذه الأمور لا يصح أن يتوجه بها على جهة العبادة لغير الله تعالى، وكذلك لا يصح التوجه بعبادة السجود للأولياء أو الطواف لهم ولا لأحد غير الله، فإن العبادة حق خالص لله كما تقدم.

ومن آراء بعض الصوفية في توحيد الألوهية طاعة الشيخ طاعة عمياء، ولو بتحليل الحرام، أو تحريم الحلال وهذا مخالف للنصوص الشرعية الواردة بالأمر باتباع الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾. وقال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ

وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾ . وقال تعالى : ﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٤٠﴾ .
﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ٥٩﴾ .

وهذا أوصل بعضهم إلى التقاعس عن طاعة الله عز وجل بل قد قال بعضهم : إن الخاصة لا يحتاجون للعبادة بل تسقط عنهم التكاليف لعظم منزلتهم عند الله ولوصولهم لرتبة اليقين التي لا يحتاجون معها للعبادة مع أن أفضل الأمة وهو نبيها ﷺ لم تسقط عنه التكاليف ، فكيف بمن دونه بل كان يتحامل على نفسه في طاعة الله ويصلي بالليل حتى تتورم قدماه ، ولما نوقش في ذلك قال : «**أفلا أكون عبداً شكوراً**» .

الركن الثاني: الإيمان بالملائكة

جاءت النصوص الشرعية بوجوب الإيمان بالملائكة، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ الآية، والملائكة من خلق الله خلقوا من نور لا يعصون الله ما أمرهم ولا يخرجون عن قضاء الله وأمره، وقد علم الله جميع أحوالهم ومنهم من ذكر الله لنا اسمه كجبريل، ومنهم من سمى لنا عمله كملك الموت والموكلين بالنطفة، وبعض الصوفية يتوجه بالدعاء للملائكة وهو من المحرمات المخرجة من دين الإسلام كما سبق، قال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾. وقال: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾. وقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾.

وهذا يدل على أن الإنسان قد يظن أن بعض أفعال الجن هي من أفعال الملائكة وهذا يقع كثيراً عند بعض المتصوفة ومن هنا قد يأتي بعض الجن فيلقي بعض الكلام، إما في نفس العبد أو على مسامعه فيظن أن هذا الكلام هو من الملائكة على طريقة الكشف والإلهام والهواتف، ومن فضل الله أن الشريعة كاملة بالكتاب والسنة فلا نحتاج إلى شيء آخر لا يدرى ما هو، بل إن الجن وشياطينهم يوحون في قلوب العباد كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا

لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾. وقال: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ وهذا جعل بعض الصوفية يتوجهون إلى ما يسمى بتحضير الأرواح من خلال جعل الجن يتحدثون على لسان بعض الموتى وجعلهم يستعينون بالجن في تحقيق بعض ما يريدونه، والأصلٍ منع ذلك، لأن المقتضي لهذا الفعل وهذه الاستعانة كان موجودا في عهد النبوة، ومع ذلك لم يفعله ﷺ فدل ذلك على عدم شرعيته؛ ولأن الجن لا يبذلون أنفسهم إلا في مقابل، وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ ﴾.

الركن الثالث: الإيمان بالكتب

تواترت النصوص بوجوب الإيمان بما أنزل الله من الكتب، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾. وقال سبحانه: ﴿ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ﴾ فنؤمن بأنها منزلة من عند الله، وأن الله تكلم بها حقيقة.

ومن آراء الصوفية فيما يتعلق بالكتب أنهم قالوا: إن للقرآن ظاهراً وباطناً، وإن الظاهر هو علم الشريعة، وأما العلم الفاضل فهو علم الباطن الذي هو علم الحقيقة ولا يعلمه إلا خاصة الأولياء وتوصلوا من ذلك إلى تأويل القرآن على غير ظاهره، وتفسيره بما يخالف مقتضى دلالته بحسب لغة العرب، مع أن الآيات متتابعة في أن القرآن نزل بلغة العرب، وأن فهم القرآن يكون على وفق هذه اللغة، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾. وقال: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾. وقال: ﴿ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾. وقال: ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

ومن آراء الصوفية في ذلك تحريف القرآن عن معانيه بما يسمونه بالذوق والكشف ولذلك تجدهم لا يرغبون في طلب العلم والتفقه في الدين.

وقد وصل الحال ببعضهم إلى أن قال بأن أذكارهم الصوفية المبتدعة أفضل من القرآن وأفضل مما ورد عن الرسول ﷺ من الأدعية والأذكار حتى أن بعضهم يقول قراءة ورد الشاذلي أفضل من قراءة القرآن، وقال آخرون منهم: صلاة الفاتح لما أغلق تعدل ستة آلاف ختمة من القرآن الكريم، فجعلوا الناس يهجرون القرآن، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾. ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾. وفي الحديث: «يقول الرب تبارك وتعالى: «**من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه**». رواه الترمذي وحسنه، وطائفة من الصوفية جعلوا السماع أفضل من القرآن، فأين هم من قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**».

الركن الرابع: الإيمان بالأنبياء

تواترت الأدلة على أن الله عز وجل أرسل إلى البشرية رسلاً وأنبياء يدلونهم إلى سبل الهداية والرشاد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾. وقد أوجب الله طاعتهم فيما أمروا به وتصديقهم فيما أخبروا عنه، ونعتقد أن محمداً ﷺ هو أفضل البشر وخاتم الأنبياء ونحبه فوق محبتنا لأنفسنا وفوق محبتنا للخلق أجمعين، وأن الله قد أكرمه وخصه بمزايا عظيمة منها الشفاعة والحوض.

وللصوفية آراء كثيرة فيما يتعلق بالإيمان بالأنبياء ومن ذلك قول أكثرهم بأن النبي ﷺ قد خلق من نور، وأن النور المحمدي هو أصل الوجود مع أن الله تعالى يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾. ويرد عليهم أيضاً قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾. وقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾. ومن المعلوم أن النبي ﷺ قد ولد من أبوين قرشيين معروفين، وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾.

ولم يكتفوا بذلك بل نسب بعضهم إلى النبي ﷺ زوراً وبهتاناً أنه قال: «**كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين**». وقد صرح كثير من أهل العلم بأن هذا حديث موضوع لا أصل له، وأن معناه باطل، فإن

آدم عليه السلام لم يكن بين الماء والطين قط فإن الطين ماء وتراب وإنما كان بين الروح والجسد.

وادعى بعضهم أن من علوم النبي ﷺ اللوح والقلم، ومن جوده الدنيا وضرتها، والله عز وجل يقول له: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾. وفي الحديث الصحيح، أن النبي ﷺ كان يقول لقرابته: «**لا أغني عنكم من الله شيئاً**». **وقال تعالى**: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾.

ومن أخطاء بعض الصوفية وهو شرك مخرج من الملة التوجه للنبي ﷺ بالدعاء، فنجد أحدهم يقول: يا رسول الله اقض حاجتي، اشفع لي عند ربك، مع أن الدعاء لا يجوز أن يصرف إلا لله، لأنه عبادة وصرف العبادة لغير الله شرك كما تقدم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ فلا نحتاج مع هذه الآية إلى دعاء غيره.

ويعتقد بعض الصوفية أن النبي ﷺ الآن حي يرزق مثل حياة من في الدنيا، فإنه لم يمت مع أن الله يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ فهو ﷺ قد مات لكنه في قبره يعيش حياة برزخية فوق حياة الشهداء، حياة ليست مماثلة لحياة الدنيا، ومن هنا نعلم بطلان قول بعض الصوفية إنهم لقوا النبي ﷺ وإنه يشهد احتفالاتهم واجتماعاتهم، بل قد يطلب بعض الصوفية من النبي ﷺ مغفرة الذنوب مع أن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

ومن الأمور المتعلقة بمقام النبي ﷺ مسألة التوسل، والتوسل بالنبي ﷺ على ثلاثة أنواع أولها: التوسل إلى الله بمحبة النبي ﷺ وطاعته واتباع شرعه، فهذا جائز مشروع، لأنه يجوز التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة، قال تعالى حكاية عن المؤمنين: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ ﴾ الآية إلى قوله سبحانه: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ ولا طريق إلى رضا رب العالمين ودخول جنته إلا بالتوسل إلى ذلك بالإيمان بالنبي ﷺ وطاعته.

النوع الثاني: التوسل إلى الله بدعاء النبي ﷺ بأن يطلب المرء من النبي ﷺ أن يشفع له عند ربه فيتوسل إلى الله بذلك فيقول: يا رب إني أتوسل إليك بكون نبيك ﷺ قد دعا لي فهذا يصح ممن خاطب النبي ﷺ بخطاب بحضرته وممن كان حيًّا في عهده، أما من طلب من النبي ﷺ أن يدعو له بعد موت النبي ﷺ فهذا قد توجه بالدعاء والطلب لغير الله، والدعاء حق خالص لله لا يجوز صرفه لغيره، ولذلك كان الصحابة في حياة النبي ﷺ يطلبون منه أن يدعو لهم أما بعد وفاته فلم يطلبوا منه ذلك، ولذلك قال عمر: اللهم إنا كنا نستسقي بنبيك فتسقينا وإنا الآن نستسقي بعم نبيك، فلم يتوسل إلى الله بكون النبي ﷺ يدعو له بعد وفاته، وإنما توجه إلى أحد الأحياء فطلب منه أن يدعو، فقوله نتوسل إليك بعم نبيك يعني بدعاء العباس رضي الله عنه، وقوله: إنا كنا نتوسل بنبيك معناه إننا الآن لا نتوسل بدعاء نبيك ﷺ لأنه قد توفي.

وأما حديث الضرير: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك

فهذا على فرض صحته فالمراد به إني أسألك وأتوجه إليك بدعاء نبيك فإنه قد جاء للنبي ﷺ في حياته وطلب منه أن يدعو له ولو كان التوسل بذاته لما ذهب إليه وطلب منه الدعاء ولذلك قال: (اللهم شفعه في) ولو كان متوسلاً بذاته لما صح منه هذا القول، ولم يقصر بعض المتصوفة ذلك التوسل على النبي ﷺ بل جعلوه لغيره من الأولياء.

ولقد حرف بعض الصوفية الكلم فقال بأن توجيه الدعاء للنبي ﷺ يسمى توسلاً، فإذا قال: يا رسول الله اشف مريضي قالوا هذا توسل بالنبي ﷺ، وكل من عرف لغة العرب أو لديه عقل يفهم الألفاظ علم أن هذا دعاء للنبي ﷺ وليس توسلاً، ودعاء غير الله شرك ممنوع منه في الشريعة كما تقدم، وهذا هو النوع الثالث مما يسمى توسلاً.

ومن معتقدات بعض الصوفية فيما يتعلق بركن الإيمان بالأنبياء أنهم قالوا: يسع بعض الناس الخروج عن شريعة الإسلام والتعبد لله بدون شريعته كما أن الخضر وهو ولي وسعه الخروج عن شريعة موسى وزعموا أن الخضر حي الآن وأنه لا يسير على وفق شريعة الإسلام وأن الأولياء يقابلونه ويأخذون من علومه وهذه اعتقادات كفرية مخالفة لدين الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾. وقال سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾. والخضر عليه السلام قد مات إذ لو كان حيًّا لجاء للنبي ﷺ وتشرف بصحبته، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ الاية،

وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾. وقد أخبر النبي ﷺ في إحدى الليالي بأن جميع من في الأرض تلك الليلة سيموتون قبل مائة سنة كما في الصحيحين.

ومما سبق تعلم أن بعض الصوفية يفضلون مقام الولي على مقام الأنبياء عليهم السلام، وقد صرحوا بذلك مع أن النبي ﷺ يقول: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر**».

ويحذر على من يتكلم بهذا الكلام أن يكون قد انتقص مقام النبي ﷺ فيكون داخلاً في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾.

ومن معتقدات بعض الصوفية أن الأولياء يتلقون الوحي من الله وأنهم يأخذون الأحكام الشرعية بطريق الكشف أو الرؤيا حتى قال قائلهم: تأخذون علومكم عن الأموات ونحن نأخذها من الحي الذي لا يموت، وقد صرحت الأدلة وتواترت بختم النبوة وكمال الدين، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾. وقال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، فإذا كان الدين كاملاً لم نحتج إلى هذه المكاشفات ولا لأخذ الأحكام الشرعية من الرؤيا المنامية وبين أيدينا كتاب الله.

قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝٨٩﴾، وكتاب الله منزه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾، وقال عنه: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ بينما هذه المنامات

والكشوفات لا يأمن الإنسان فيها من تلاعب الجن والشياطين، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ١٢١﴾، وقد أجمع العلماء على أن قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ أن المراد به كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ.

ومن تصرفات بعض الصوفية أنهم تقربوا إلى الله عز وجل بعبادات تخالف هدي النبي ﷺ ومن ذلك ترك التكسب تقرباً لله بذلك، بينما الشريعة تحث عليه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾، وفي الحديث الصحيح: «**ما أكل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده**». ونحو ذلك من النصوص، وتقرب آخرون منهم إلى الله بترك الزواج مع أن النبي ﷺ قال: «**إني أتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**». بل كان هذا هو هدي الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗ﴾. وتقرب آخرون لله بترك طلب العلم الشرعي واعتقدوا أن طلب الحقيقة الصوفية أولى وأفضل من طلب العلم الشرعي مع تواتر النصوص بفضل العلم وعلو منزلة تعلم علوم الشريعة ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾. ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾.

وفي الصحيح: «**خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه**» وقال: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**». وفي صحيح مسلم: «**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة**». وفي السنن: «**وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع وإن العالم**

يستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

ونتج عما سبق أن الصوفية يحتقرون مكانة الفقهاء ولا يعرفون لهم فضلهم مع تواتر النصوص بعلو منزلتهم، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾، وقال: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾.

ومن ذلك أن الصوفية يتقربون إلى الله ببناء الأضرحة على قبور الأولياء مع أن النبي ﷺ نهى عن البناء على المقابر كما في صحيح مسلم من حديث جابر، وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته.

ومع ذلك أن الصوفية يتقربون إلى الله تعالى بترك الجهاد والأمر بالمعروف وتعليم الناس الأحكام الفقهية مع أن الشريعة قد تكاثرت تعليماتها بفضل هذه الأمور وعظم منزلتها، يقول النبي ﷺ: «**لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها**». وقال: «**اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**». وقال: «**ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار**». وهذه أحاديث قد رواها البخاري، أما الأمر بالمعروف فاسمع قول الله عز وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾

وقوله سبحانه: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ الآية، وفي حديث أبي سعيد في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**». وفي السنن بسند جيد يقول النبي ﷺ: «**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب منه**». وأما عن فضل تعليم الناس والدعوة لدين الإسلام فاسمع قول النبي ﷺ: «**لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**». متفق عليه، وقوله: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً**» أخرجه مسلم، وحديث أبي أمامة عند الترمذي بسند قوي أن النبي ﷺ قال: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، وإن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير**». وفي حديث ابن مسعود: «**نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع**». وإذا بحثت عند الصوفية لم تجد عندهم دراسة الأحاديث النبوية.

ومن ذلك أنهم يتقربون لله بالمؤاخاة بين الرجال والنساء الأجانب مع قول النبي ﷺ: «**لا يخلون رجل بامرأة**» وقوله: «**إياكم والدخول على النساء**».

والنصوص قد أمرتنا أن لا نعبد الله عز وجل إلا بما جاء به النبي ﷺ واعتبار أن كل عبادة لم يأت بها الرسول بدعة وضلالة، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ

وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾. وقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾.

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد**». وعند مسلم: «**إن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**». وفي السنن: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**». وزاد النسائي: «**وكل ضلالة في النار**». ومع كل هذه النصوص إلا أن الصوفية قد ابتدعوا عبادات لم ترد في الشرع ولم يفعلها صحابة رسول الله ﷺ، ومن ذلك وضع دور للعبادة غير المساجد والتعبد لله بالرقص والسماع والصوت والغناء والتقرب لله بزوال العقل والسكر عند سماع الأذكار، وادعاء العشق مع الله والاحتفال بالموالد النبوية وموالد الأولياء والبيعة لمشايخ الصوفية وذكر الله بالاسم المجرد: الله، الله، أو الضمير: هو، هو أو السفر لزيارة القبور والمشاهد بل وجعل مواسم معينة في السنة لزيارتها مماثلة لها بموسم الحج فتجدهم يجتمعون في موسم من السنة الملايين تقرباً لله مع أن النبي ﷺ لم يشرع لنا اجتماعاً عامًّا للأمة إلا في الحج.

ومن آراء الصوفية التبرك بآثار الأولياء مشابهة لهم بالأنبياء مع أن التبرك يجب أن يكون خاصًّا بما ورد فيه النص، ومن هنا لم يتبرك الصحابة بآثار أبي بكر ولا عمر رضي الله عنهما وهم أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ.

وكذلك لا يجوز الحلف بالأولياء فلا يقول: وحياة سيدي البدوي ونحو ذلك لقول النبي ﷺ: «**من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**» وقال: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**» ثم أين أحوال المريدين في عهد النبوة وعهد الصحابة فهل يكون الصوفية في أزمانهم المتأخرة أفضل من ذلك الزمان، ولم يكتفوا بذلك بل طلبوا من المريدين إلغاء عقولهم وعدم الإلتفات إلى ما لديهم من أحكام شرعية طاعة لمن يزعمون أنه من الأولياء.

وأما بالنسبة للكرامات فنحن نؤمن بها لكنها قد تمنح للمفضول دون الفاضل، وقد تكون اختباراً للعبد هل يتمسك بعدها بهدي النبوة أو يعجب بنفسه ويغتر بحاله، ثم إن الكرامة ليست مطلوبة لذاتها فالعبد لا تزداد منزلته بالكرامة وإنما تزداد منزلته بطاعة الله ولذلك قيل: كن طالباً للاستقامة لا طالباً للكرامة، فإن ربك إنما طلب منك الاستقامة، ولا يتوقف كون المرء ولياً على وجود الكرامة لديه، فإن الولاية تكون بالإيمان والتقوى لا بالكرامات، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ فعدم الخوارق لا يضر المسلم ولا ينقص من درجته عند الله، أما بالنسبة لإجابة الدعوة فالأصل أن الله يستجيب دعاء الداعين لكن قد يكون هناك مانع يمنع من إجابة الدعاء وقد تكون مصلحة العبد في أن لا يستجاب له فيدخر الله الثواب للعبد في الآخرة، وليس معنى أن يجاب دعاء عبد من العباد أنه أفضل من غيره أو أن يطاع في معصيته

لله، فهذا إبليس قد أجيبت إحدى دعواته بالبقاء إلى يوم البعث، وهذا النبي ﷺ قد أجاب الله كثيراً من دعواته ولم يستجب له عندما دعا لعمه أبي طالب ونزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾.



الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر

جعل الله يوماً يحاسب فيه العباد على أعمالهم وللساعة علامات تدل على قربها، ويُسأل العباد في قبورهم وينعمون أو يعذبون فيها وليوم القيامة أحوال وفيه أشياء عديدة قد وردت بها النصوص، ومصير العباد إما إلى الجنة أو إلى النار، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾. وقال: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

ومن آراء الصوفية فيما يتعلق باليوم الآخر أن قالوا بأن العبادة ينبغي فعلها محبة لله وأن يكون مقصود العابد لقاء الله ويترفعون عن الرغبة في دخول الجنة والخوف من النار، ويرون أن من قصد الرغبة في الجنة بعبادته فهو من العوام حتى أدى الأمر ببعضهم إلى احتقار الجنة، وإذا نظر المسلم في النصوص الشرعية وجد أن عبادة الله رغبة في الجنة وهرباً من النار لا يتنافى مع أن كون العبادة لله من باب المحبة له سبحانه، ولذلك وجدنا أن النصوص الشرعية تخوف من النار ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ وترغب في الجنة ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾، وأفضل البشر وهم الأنبياء أثنى الله عز وجل عليهم بكونهم يعبدون الله خوفاً وطمعاً، قال

تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾. ووعد سبحانه الخائفين بالأجور المضاعفة، قال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾، وقال: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾، والنبي ﷺ مع رفعة منزلته يترك المعاصي خوفاً من عقوبة الآخرة كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾، وكان الأنبياء يدعون أقوامهم من خلال تخويفهم من عقاب الله فيقول الواحد منهم: ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ ويعلم من ذلك أن من عبد الله بالمحبة بدون خوف من عقابه أنه مخالف لمنهج الأنبياء عليهم السلام، وأنه مخالف لأوامر الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ مما يدل على أن من لم يوجد لديه الخوف من الله فإنه ليس من المؤمنين، واسمع ثناء الله على أهل الإيمان الذين يعبدون الله خوفاً وطمعاً، يقول سبحانه: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ الآية، ومن أقوال الصوفية أيضاً أن الله قد أعد لهم الجنة فمثلاً التيجاني يقول: بأن النبي ﷺ ضمن له ولأتباعه دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب مهما عملوا من الذنوب، ويقول الميرغني صاحب الطريقة الختمية: أن النبي ﷺ أوصى رضوان خازن الجنة بأن يعمر جناناً ومساكن له ولأتباعه إلى يوم القيامة، وأوصى خازن النار بأن يبني فيها مواضع لأعدائه، وقال بمثل ذلك طوائف من الصوفية حتى قال أحد كبارهم: بأن من رآه - يعني ذلك الكبير - دخل الجنة.

ومثل هذه الأقوال لا يجدون لها مستنداً من كتاب الله عز وجل ولا من سنة رسوله ﷺ فيكون ذلك من القول على الله بلا علم، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾، وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ ولما ذكر الله عز وجل المحرمات ذكر منها: ﴿ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ وهذا النبي ﷺ يقول: «**والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي**» أخرجه البخاري.

الركن السادس: الإيمان بالقدر

من أركان الإيمان، الإيمان بأن كل ما يقع في الكون من شر وخير فإن الله قد قدره وعلمه وكتبه في اللوح المحفوظ وخلقه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾. وقال سبحانه: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾. وهذا لا يعني أن يترك العبد فعل الأسباب كما لا يعني أن العبد ليس له إرادة ومشيئة بل له ذلك لكن إرادته ومشيئته مرتبطة بمشيئة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

وقد استدل بعض الصوفية بالقدر على تسويغ فعل المعاصي لأنها من خلق الله وكيف يخلق ما لا يرضى عنه مع أن النصوص متكاثرة في أن الله قد يخلق ما يرضاه قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ وقد رد الله على من كان يقول بمثل قول هؤلاء فقال سبحانه: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ وحينئذ فلا يصح لأحد أن يحتج بالقدر بعد أن أرسل الله الرسل ومكّن العباد من طاعته، قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ ﴾.

وقد فسر كثير من الصوفية التوكل بترك الأسباب في التكسب والتداوي وغير ذلك مما حدا ببعضهم إلى التسول مع أنه من أدنى مراتب فعل الأسباب دناءة وهذا يخالف النصوص الكثيرة التي ترغب أهل الإسلام في العمل ومزاولة الأسباب، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾. وفي الحديث: «**لئن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه**». ولذلك كان الأنبياء عليهم السلام يزاولون الأعمال وعلى ذلك وقع إجماع الصحابة رضي الله عنهم.

وفي خاتمة حديثي أشير إلى أمرين مهمين:

أولهما: إن باب التوبة مفتوح، وقد دعانا رب العالمين إليه، قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾. وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾، والتوبة تمسح ما حصل قبلها من الذنوب، قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾، وقد ذكر الله عز وجل أن التوبة تنفع من الشرك والكفر، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾، وعرض الله التوبة على الذين كفروا بقولهم إن الله ثالث ثلاثة فقال لهم: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا

﴿يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧٤﴾ والله يفرح بتوبة التائبين كما قال النبي ﷺ: «**لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة**» متفق عليه، والمرء لا يأمن من إتيان ملك الموت فجأة فكم سمعنا بأنباء السكتات القلبية، والجلطات الدماغية وحوادث السير والله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، والله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر، ومن هنا فإني أدعو جميع من انتسب إلى الصوفية إلى التفكر في أحواله مع نفسه حالة كونه خالياً من المشاغل والهموم والأهواء مع تذكره للقاء الله تعالى ومن ثم يقارن بين ما في القرآن والسنة من أحكام وبين ما يؤديه من أعمال.

والأمر الثاني: إن القرآن الكريم والسنة المطهرة بين أيدينا فيجب على كل واحد منا أن ينشرهما طباعة ودراسة وحفظاً وتدبراً وعملاً مع الحرص على استفادة الأذكار منهما ونشر هذه الأذكار لتحل محل الأذكار البدعية، وعلينا أن نستغل كل وسيلة ممكنة للدعوة إلى العقيدة الصحيحة المأخوذة من القرآن والسنة من خلال طبع الكتب وإنشاء المدارس وإعداد المعلمين واستعمال أجهزة الإعلام والاتصال وغيرها من الوسائل، وعلينا أيضاً أن ندعوا إلى ترك الغلو في الأشخاص ولو كانوا من الأنبياء أو الأولياء مع إنزالهم في المحل اللائق بهم، وعلينا كذلك أن ندعوا إلى ترك مظاهر التصوف المخالفة للشريعة وأن نزيل الأشجار والأحجار التي يتبرك بها، ونهدم القباب والمساجد المبنية على القبور، لقول النبي ﷺ: «**اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

أسأل الله عز وجل أن يصلح أحوال الأمة، وأن يرشد الضال منها، وأن يعيذها من شرور أنفسها، وسيئات أعمالها، وأن يجنبها البدع والشرك ووسائلهما، وأسأله أن يجمع كلمة المسلمين على الحق، وأن يصلح ولاة أمورهم، وأن ينصر بهم دينه، وأن يعلي بهم كلمته، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



المراجع

- القرآن الكريم.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج.
- إلى التصوف يا عبادالله، أبو بكر الجزائري.
- إيقاظ الهمم في شرح الحكم، ابن عجيبة.
- التصوف الإسلامي، أحمد عياد.
- التصوف الإسلامي، عبداللطيف الطيباوي.
- التصوف الإسلامي، زكي مبارك.
- تفسير ابن كثير.
- تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن بن سعدي.
- تيسير العزيز الحميد، الشيخ سليمان بن عبدالله.
- جواهر المعاني.
- الدرة الفريدة.
- الذخائر المحمدية، محمد علوي مالكي.
- ذخائر الأعلاق في شرح ترجمان الأشواق، لابن عربي.
- رسائل ابن عربي.
- رماح حزب الرحيم.
- شرح الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي.
- شرح الفصوص، عبدالرحمن جامي.

- شرح قصيدة ابن القيم، د. محمد خليل هراس.
- الصحاح، للجوهري بتحقيق عطار.
- صحيفة الأخبار المصرية.
- طبقات الصوفية، للشعراني.
- عمدة القارىء شرح البخاري، للعيني.
- الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية.
- فصوص الحكم، شرح بالي.
- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، عبدالرحمن عبدالخالق.
- فلسفة الأخلاق في الإسلام، محمد يوسف.
- القاموس المحيط، للفيروزآبادي.
- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني.
- النقشبندية، عبدالرحمن دمشقية.
- هذه الصوفية، عبدالرحمن الوكيل.
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية.
- وحدة الوجود، خضر عبداللطيف.

الفهرس



هذا الكتاب منشور في

